

ومغاوير . وهم . ونهم . وشهب وكمت وصلاب وصلاد . وانجاب  
وانجاد . وجلب ولجب \* وبيض ويلب . وبيض وسود واساود  
وسود . وجرد . ومرد . وكهول . وفحول . ورقاق . وعقاق .  
وقود . واطلاب وابطال . وفوارس . ورجال . وخفاف  
وثقال . وعراب واعاريب . وسراحين وسراحيب . وحدلا يكل .  
وجد لا يمل . وجمر يتقى . وجمع لا يلتقي . ومعه رماة الاحداق  
كمائة الاتراك . وهداة التوحيد عادة الاشراك . فقترت عينه  
بولده . واعتضد بعضده . ووضع يده بتأييد الله . في يده . وكان قد  
استدعى الاساطيل المنصورة فوافقت كالفتخ الكواسر . بالفلك  
المواخر . وجاءت كأنها امواج تلاطم امواج . وافواجا تزام  
افواجا . تدب على البحر عقاربها . وتخب كقطع الليل  
سحائبها . وتجر بالذوايل ذوائبها . وتزاحم مناكب الاطواد  
مناكبها . والحاجب لؤلؤ مقدمها ومقدمها \* وضرغام غابها  
وهمامها \* فطفق يكسر ويكسب ويسل ويسلب . ويقطع الطريق  
على سفن العدو ومراكبه . ويقف له في جزائر البحر على  
مذاهبه . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه . ويظهر في وقائعه حسن  
موقعه .

## فتح بيت الله المقدس

ثم رحل من عسقلان القدس طالبا . وبالعزم غالبا . والنصر  
مصاحبا ولذيل العز ساحبا . قد اصحب ريش مناه . واخصب  
روض غناه . واصبح رائج الرجاء . أرج الارحاء سيب العرف .  
طيب العرف . ظاهر اليد . قاهر الايد . سني عسكره قد فاض  
بالفضاء فضاء . وملا الملا فافاض الالاء . وقد بسط عتير فياقه  
ملاءته على الفلق . وكأنما اعاد العجاج وأد الضحى جنح  
الغسق . فالأرض شاكية من اجفاف الجحافل \* والسماء حاضية  
بأقساط القساطل \* وسار سارا بالاحوال الحوالي . مروية

احاديث فتوحه العوالي من العوالي . مطوية مدارج مناجحة على  
ماتذشره الآمال من الامالي . وقد حلت وعلت من مفارس النصر  
ومطالعة المجاني والمجالي . والاسلام يخطب من القدس  
عروسا . ويبذلها في المهر نفوسا ويحمل اليها نعي ليحمل عنها  
بوسي . ويهدي بشرا .

ليذهب عبوسا . ويسمع صرخة الصخرة المستدعية المستعنية  
لاعدائها على اعدائها . واجابة دعائها . وتلبية ندائها . واطلاع  
زهر المصابيح في سماءها . واعانة الايمان الغريب منها الى  
وطنه . وربه الى سكونه وسكنه . واقصاء النين اقصاهم الله  
يلعنته من الاقصى . وجذب قياد فتحه الذي استعصى . واسكات  
الناقوس منه بانطاق الاذان . وكف كف الكفر عنه بايمان  
الايمان . وتطهيره من نجاس تلك الاجناس . واناس انبي  
الناس . وافحام الافهام باخراس الاجراس . وطار الخبر الى  
القدس فطارت قلوب من به رعبا وطاشت . وخفقت افئدتهم خوفا  
من جيش الاسلام وجاشت . وتمنت الفرنج لما شاعت الاخبار انها  
ما عاشت . وكان به من مقدمي الافرنج باليان بن بارزان والبطرك  
الاعظم . ومن كلا الطائفتين الاستبارية والداوية المقدم . فاشتغل  
بال باليان . واشتعل بالنيران . وخدمت نار بطر البطرك . وضاعت  
بالقوم منازلهم فكان كل دار منها شرك للمشرك . وقاموا بالتدبير في  
مقام الادبار . وتقسمت افكار الكفار . وايس الفرنج من  
الفرج . واجمعوا على بذل المهج .

### ذكر كنيسة قمامة

وقالوا ههنا نطرح الرؤوس . ونسبك النفوس . ونسرفك  
الدماء . ونهلك الدهماء . ونصبر على اقتراح القروح واجتراح  
الجروح . ونسمع بالارواح شحا بمحل الروح . فهذه قمامتنا فيها  
مقامتنا • ومنها قيامتنا • وتصحيح همامتنا • وتصحيح

ندامتنا . وتسيح علامتنا . وتسح عمامتنا . وبها غرامنا . وعليها  
غرامتنا . وياكرامها كرامتنا . ويسلامتها سلامتنا . وباستقامتها  
استقامتنا . وفي استدامتها استدامتنا . وان تخلينا عنها لزمنا  
لامتنا . ووجبت ملامتنا . ففيها المصلب والمطلب . والمذبح  
والمقرب . والمجمع والمعبد . والمهبط والمصعد . والمرقي  
والمرقب . والمشرب والملعب . والمموه والمذهب . والمطلع  
والمقطع . والمربى والمربع . والمرخم والمخرم . والمحلل  
والمحرم . والصور والاشكال . والانظار والامثال . والآساد  
والاشبال . والاشباه والاشباح . والاعمدة والالواح . والاجسام  
والارواح . وفيها صور الحواريين في حوارهم . والاحبار في  
احبارهم . والرهبان في صوامعهم . والاقساء في  
مجامعهم . والسحرة وحبالها . والكهنة وخيالها . ومثال السيدة  
والسيد . والهيكل والمولد . والمائدة والحوت . والمنعوت  
والمندوت . والتلميذ والمعلم . والمهد والصبي المتكلم . وصورة  
الكبش والحمار . والجنة والنار . والنواقيس . والنواميس . قالوا:  
وفيها صلب المسيح . وقرب الذبيح . وتجسد اللاهوت . وتأله  
الناسوت . واستقام التركيب . وقام الصليب . ونزل النور . وزال  
الليجور . وازدوجت الطبيعة بالاقنوم . وامتزج الوجود  
بالمعدوم . وعمدت معمودية المعبود . ومخضت البتول  
بالمولود . وأضافوا الى متعبدهم من هذه الضلالات . ما ضلوا فيه  
بالشبه عن نهج الدلالات . وقالوا دون مقبرة ربنا نموت وعلى  
خوف فوتها منا نفوت . وعننا ندافع . وعليها نقارع . وما لنا لا  
نقاتل . وكيف لاننازع ولا ننازل . ولاي معنى نتركهم حتى يأخذوا .  
وندعهم حتى يستخلصوا ما استخلصناه منهم ويستقدوا . وتأهبوا  
وتباهوا . وما انتهوا بل تناهوا . ونصبوا المجانيق امامت الاسواء  
على الاسوار . وسوتوا بظلمات الساتر وجوه  
الانوار . واستشاطت شياطينهم . وسرحت سراحينهم وطغت  
طواغيتهم . وأصلقت مصاليتهم . ونشرت طواميرهم . وتسعرت  
مساكيرهم . وهاج هائجهم . ومجاج مانجهم . ودعت  
دواعيهم . وعدت عوايهم . وسعت افاعيهم . وحضتهم

قسوسهم . وحرضتهم رؤسهم . وحركتهم نفوسهم . وجاءتهم  
بجوى السوء جواسيسهم . واخبرتهم باقبال العساكر الناصرية  
منصورة الجنود . منشورة البنود . موصولة القواطع بالاشاجع  
مهجورة الغمود . مشهورة القواضب . مشهوية الكتائب . مقودة  
الضوامر الى نار العدى . موقفة الضمائر بنار الهدى . مشبوبة  
العزائم . مجذونة الصلادم . مسلولة الظببا . مطلولة  
الربا . مجذوبة أجنة اغمادها . مسنونة اسنة صعادها . مطلقة  
اعنة جياها . محققة مظنة طرادها . قد سالت الوهاد  
باكامها . وجالت الأعلام في اعلامها . وسدت الفجاج  
امواجها . وحجبت الفزالة عقبانها . والهبت الذبالة  
خرسانها . وجرت بالجبال رياحها . وجرت كالحبال رماحها  
واشتمل على الضراغم غيلها . واقبل بالعظام قبيلها . ووافى كل  
واف بعهد ربه . كاف لكف خطبه . شاف لهم قلبه . ضاف بفيض  
شربه . خاف في لبوسه . باسل بباسه . عاسل بأمراسه . ناسل  
بنت الغمد من جفنه . غاسل نبت الحد بدم قرنه . واصل بيض الهند  
بسواعده . فاصل خطاب الخطوب ببوارقه ورواعده حاد بجهه . جاد  
بجده . وكل شاب لنار الحرب شاب . ورب نين لنين الرب  
راب . وكل جيش كالبحر عباب . وكل سال نبي نباب عن الهدى  
ذاب . وكل قائل بالآخرة للحياة الدنيا قال . سائل من الله الشهادة  
عن حب البقاء سال . مائل في سبيل الله الى انفاق مال . واقبل  
السلطان باقبال سلطانه . وابطال شجعانه . واقبال اولاده  
واخوانه . واشبال مماليكه وغلمانه . وكرام امرائه . وعظام  
أوليائه . في مقانب بالمناقب مقنبيه . وكتائب بالمواكب  
مكتبة . وذوابل بالكواكب منصله . وجحافل بمضاء المضارب  
محفله . وألوية صفر للاواء بني الأصفر . وبيض وسمر تزرق زرق  
العدا من الموت الأحمر . وقباب وقبائل . وقنا وقنابل . وصوافن  
صواهل . وعوامل وعواسل . وفوارس فوارس . وكل من يبذل  
للشع بدينه النفوس والنفائس . وأصبح يسأل عن الاقصى وطريقه  
الانى . وفريقه الاسنى . يذكر مايفتح الله عليه بحسن فتحه من  
الحسنى .

## وصف البيت المقدس

وقال ان اسعدنا من الله على اخراج اعدائه من بيته المقدس فما اسعدنا . وأي يد له عندنا اذا ايننا . فانه مكث في يد الكفر احدي وتسعين سنة . لم يتقبل الله فيه من عابد حسنه . ودامت همم الملوك دونه متوسنة . وخذلت القرون عنه متخلية . وحلت الفرنج به متولية . فما اخر الله فضيلة فتحه . الا لآل ايوب . ليجمع لهم بالقبول القلوب . وخص به عصر الامام الناصر للين الله ليفضله به على الاعصار . ولتفخر به مصر وعسكرها على سائر الامصار . وكيف لا يهتم بافتتاح البيت المقدس الاقوى . والمسجد الاقصى المؤسس على التقوى . وهو مقام الانبياء . وموقف الاولياء . ومعبد الاتقياء ومزار ابدال الأرض وملائكة السماء . ومنه المحشر والمذشر . ويتوافد اليه من اولياء الله بعد المعشر . وفيه الصخرة التي صينت جدة ابهاجها من الانهاج . ومنها منهاج المعراج . ولها القبة الشماء التي على رأسها كالتاج . وفيه ومض البارق ومضى البارق وأضاءت ليلة الاسراء بحلول السراج المنير فيه الآفاق . ومن ابوابه باب الرحمة الذي يستوجب داخله الى الجنة بالدخول الخلود . وفيه كرسي سليمان ومحراب داود . وله عين سلوان التي تمثل لواردها من الكوثر الحوض المورد . وهو اول القبلتين . وثاني البيتين . وثالث الحرمين . وهو احد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوي انها تشد اليها الرحال . ويعقد الرجاء بها الرجال . ولعل الله يعيده بنا الى احسن صورته . كما شرفه بذكره مع اشرف خلقه في أول سورة . وقال عز من قائل : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى » . وله فضائل ومناقب لا تحصى . واليه ومنه كان الاسراء . ولأرضه فتحت السماء . وعنه تؤثر انباء الانبياء وآلاء الاولياء . ومشاهد الشهداء . وكرامات الكرماء . وعلامات العلماء . وفيه مبارك المبار . ومسارح المسار . وصخرته الطولى . القبلة الاولى . ومنها

تعالى القدم النبوية . وتوالت البركة العلوية . وعندها صلى نبينا صلى الله عليه وسلم بالنبیین . وصحب الروح الامین . وصعد منها الى اعلى عليین . وفيه محراب مريم عليها السلام الذي قال الله فيه : « كلما دخل عليها زكريا » . ولنهاره التعبّد وليله المحيا . وهو الذي اسسه داود واوصى ببناؤه سليمان . ولأجل اجلاله انزل الله « سبحان » . وهو الذي افتتحه الفاروق وافتتحت به سورة من الفرقان . فما اجله واعظمه . واشرفه وافخمه . واعلاه واجلاه . واسماه واسناه . وايمين بركاته وابرك ميامنه . واحسن حالاته واحلى محاسنه . وازين مباهجه وابهج مزايينه . وقد اظهر الله طوله وطوله . بقوله : « الذي باركنا حوله » . وكم فيه من الآيات التي اراها الله نبيه . وجعل مسموعنا من فضائله مرئية . ووصف السلطان من خصائصه ومزاياه . ما وثق على استعادة الآئه موثيقه والاياه . واقسم لا يبرح حتى يبر قسمه . ويرفع بأعلاه علمه . وتخطو الى زيارة موضع القدم النبوية قدمه . ويصفي الى صرخة الصخرة . ويبغي بالبشرى بشر اسرة الاسرة . وسار واثقا بكمال النصره وزوال العسرة . وحسر الفرنج قناع العسرة . ونزل على غربي القدس يوم الأحد خامس عشر رجب . وقلب الكفر قد وجب . وحزب الشرك قد شارف الشجى والشجب . والقدر قد اظهر العجب . وكان في القدس حينئذ من الفرنج سـتـون الف مقاتل . من سائف ونابل . وبطل للباطل . وعاس عاسل بالعاصل . قد وقفوا دون البلد يبارزون ويحاجزون . ويعاجزون ويناجزون . ويرمون ويديمون . ويحمونه ويحمون . ويحتدون ويحتدمون ويضطربون ويضطرمون . ويذودون ويذبون . ويشدون ويشدون . ويصرخون ويحرضون . ويلهثون ويتغوثن . ويلاذون ويلاوبون . ويجولون ويجوبون . ويقدمون ويحجمون . ويتمللملون ويألمون . ويتعاون . ويتضاعون ويحترقون للبلايا . ويقترحون المنيا . وقاتلوا اشد قتال . وناضلوا أحد نضال . ونازلوا اجد نزال . وطاقوا بصحاف الصفاح . لارواء الطبا الظماء من ماء الأرواح . وجالوا بالأوجال . واجالوا قدام الأجال . وصالوا لقطع

الأوصال . والتهموا . والتهبوا . وتأشبهوا ونشبهوا . واستهدفوا  
للسهام . واستوقفوا للحمام . وقالوا كل واحد منا بعشرين . وكل  
عشرين بمئتين . ودون القمامة تقوم القيامة . ولحب سلامتها تقلى  
السلامة . ودامت الحرب . واستمر الطعن والضرب . فانتقل  
السلطان يوم الجمعة العشرين من رجب الى الجانب الشمالي وخيم  
هنالك . وضيق على الفرنج المسالك . ووسع عليهم المهالك ونصب  
المجانيق . ومري من أقاتها الافاويق . واصرخ الصخرة  
بالصخور . وحشر حشر السوء منهم وراء السور . فما عادوا  
يخرجون من السور الرؤوس . الا ويلقون البوس . واليوم  
العبوس . ويلقون على الردى الذفوس . فلداوية دوي . ولبارونية  
من البوار في الهاوية هوى . وللاسبتار تبار . وما للفريرية من  
الموت فرار . وما بين الحجار المحلقة وبين المرمى اليهم  
حجاب . وفي كل قلب من الفتتين من نار حرصه التهاب . اذ الوجوه  
لقبل النصال مكشوفة . والقلوب لالوجد بالقتال ملهوفة . والايدي  
على قوائم السيوف المفتوحة مضمومة . والذفوس لاستبطاء الهمم  
في الاهتمام مهمومة . وقواعد السور ونواجز شراريفه بالاحجار  
الخارجة من الكفات مهدومة مهتومة . فكائن المجانيق مجانين  
يرامون . ومناجيد لا يرامون . وجبال تجذبها حبال . ورجال  
تتجدها رجال . وأمات الدواهي والمنايا . وحوامل تلد البلايا . لا  
حجر عليها في حجر . ولا أمن عندها من حذر . ولا تخطر سهامها  
الا بالخطر . ولا خطر مرورها الا مرارات ذوي الفطر . فكم نجم  
من سمائها ينقض . وصخر من ارضها يرفض . وجمر من شرارها  
ينفض . وما شيء كآفات كفاتها . وآيات ذكاياتها . وركات  
ادراكاتها . ولفقات فلتاتها وجذبات عذباتها . فما زالت تقلع  
بمقالعها . وتقرع بمقارعها وتمتج بأشطانها . وتمرح في  
ارسانها . وتصدم . وتهدم . وتصرع . وتصعد . وتنهز  
بدلائها . وتجهز ببلائها . وتحل تركيب الجلايد بأفراد  
جلاييدها . وتفل شمل المباني بتفريقها وتبييدها وتقوض القواعد  
بضربها من اساهها . وتنقض المعاهد بجذبها في أمراسها . وتشفه

الموارد بشرها من كأسها . حتى تركت السور سورا . وجعلت  
الذاب عنه محسورا . وعاد العدو من نظمه المبتور مبتورا . وخرق  
الخدق وحفز الزحف . وظهر للاسلام الفتحة والكفر الحثف . واخذ  
النقب . وسهل الصعب . وبذل المجهود . وحصل المقصود . وكمل  
المراد . وكلم المراد . وثغر الثغر . وأمر الأمر . وأربسى  
الأرب . واستتب السبب وخاف القوم الوقم . واستعاضوا من  
الصحة السقم . واسلم البلد وقطع زنار خندقه . وبرز ابن بارزان  
ليأمن من السلطان بموثقه . وطلب الامان لقومه . وتمنع السلطان  
وتسامى في سومه . وقال لا أمن لكم ولا أمان . وما هو الا أن نديم  
لكم الهوان . وغدا نملككم قسرا . ونوسعكم قتلا . ونسفك من  
الرجال الدماء . ونسلط على الذرية والنساء السباء . وابى في  
تأمينهم الا الاءاء . فتعرضوا للتضرع . وتخوفوا وخوفوا عاقبة  
التسرع وقالوا اذا آيسنا من أمانكم . وخفنا من سلطانكم . وخبنا  
من احسانكم . وأيقنا ان لا نجاة ولا نجاح . ولا صلح ولا  
صلاح . ولا سلم ولا سلامة . ولا نعمة ولا كرامة . فاننا نستقتل  
فدقاتل قتال الدم . ونقابل الوجود بالعدم . ونقدم اقدام المستشري  
بالشر . ونقتحم اقتحام المستشري من الضر . ونلقي انفسنا على  
النار . ولا نلقي بأيدينا الى التهلكة والعار . ولا يجرح واحد منا  
حتى يجرح عشرة . ولا تضمننا يد الفتك حتى ترى ايدينا بالفتك  
منتشرة . وانا نحرق الدروب ونخرب القبة . ونترك عليكم في سبيينا  
السبه . ونقلع الصخرة . ونوجدكم عليها الحسرة . ونقتل كل من  
عندنا من اسارى المسلمين وهم الوف . وقد عرف ان كلامنا من  
الذل عزوف وللعز الوف . واما الاموال فإننا نعطيها ولا  
نعطيها . واما الذراري فاننا نسارع الى اعدامها ولا  
نستبطيها . فاية فائدة لكم في هذا الشح وكل خسر لكم في هذا  
الربح . ورب خيبة جاءت من رجاء النجح . ولا يصلح السوء سوى  
الصلح . ورب مدلج اضله ظلام الليل قبل اسفار الصبح . فعقد  
السلطان محضرا المشورة . وأحضر كبراء عساكره  
المنصورة . وشاورهم في الأمر . وحاورهم في السر

والجهر . واستطلع خبايا ضمائرهم . واستشكف خفايا  
سرائرهم . واستورى زندهم . واستعلم ما عندهم . وراوضهم  
على المصلحة المترجحة . وفاوضهم في المصلحة المبرحة . وقال ان  
الفرصة قد امكنت فنحرص في انتهازها . وأن الحصة قد حصلت  
وذستخير الله في احرازها . وأن فاتت لاتستدرك . وان افلتت لا  
تملك . فقالوا قد خصك الله بالسعادة . واخلصك لهذه  
العبادة . ورأيك حاشد . وكلنا لك في اغتنام فتح هذا الموضوع  
الشريف مناشد . واستقر بعد مرأودات ومعاودات . ومفاوضات  
وتفويضات وضراعات من القوم وشفاعات . على قطيعة تكمل بها  
الفبطة . وتحصل منها الحوطة اشترى بها منا انفسهم وأموالهم  
وخلصوا بها رجالهم ونساءهم وأطفالهم . على انه من اعجز بعد  
اربعين يوما عما لزمه . أو امتنع منه وما سلمه . ضرب عليه  
الرق . وثبت في تملكه لنا الحق . وهو عن كل رجل عشرة ننانير  
وكل امرأة خمسة وكل صغير او صغيرة ديناران . وبذل ابن  
بارزان والبطرك ومقما الداوية والاسبتار في الضمان . وبذل ابن  
بارزان ثلاثين الف دينار عن الفقراء . وقام بالاداء ولم يذكل عن  
الوفاء . فمن سلم خرح من بيتسه أمنا . ولم يعد اليه  
ساكنا . وسلموا البلد يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب على  
هذه القطيعة . وردوه بالرغم رد الغصب لا الوبيعة . وكان فيه أكثر  
من مائة الف انسان . من رجال ونساء وصبيان . فأغلقت دونهم  
الابواب . ورتب لعرضهم واستخراج ما يلزمهم الذواب . ووكل بكل  
باب أمير . ومقدم كبير . يحصر الخارجين ويحصي الواالجين فمن  
استخرج منه خرج . ومن لم يرقم بما عليه قعد في الحبس وعدم  
الفرج . ولو حفظ هذا المال حق حفظه . لفاز منه بيت المال بأوفر  
حظه . لكنما تم التفریط . وعم التخليط . فكل من رشا مشى .  
وتنكب الامناء نهج الرشد بالرشا . فمنهم من ادلى من السور  
بالحبال . ومنهم من حمل مخفيا في الرحال . ومنهم من غيرت  
لبسته فخرح بزى الجند . ومنهم من وقعت فيه شفاعاة مطاعة لم  
تقابل بالرد . وكانت في القدس ملكة رومية مترهبة . في عبادة

الصليب متصلبة . وعلى مصابها به مثلهبية . وفي التمسك بملتها متعصبة . انفاسها متصاعدة الحزن . وعبراتها منحدره تصدر القطرات من المزن ولها حال ومال واشياء واشياع ومتاع واتباع . فمن عليها السلطان وعلى كل من معها بالافراج . وانن في اخراج كل مالها في الاكياس والاخراج . فراحت فرحى . وان كانت من شجنها قرحى . وكانت زوجة الملك المأسور ابنة الملك اماري . مقيمة في جوار القدس . مع مالها من الخدم والخول والجواري . فخلصت هي بمن معها ومن تبعها . ومن ادعى انه ممن صحبتها وشيعها . وكذلك الابرنساسة ابنة فليب ام هنفري اعفيت من الوزن . وتوفر مالها عليها في الخزن . واستطلق صاحب البيرة زهاء خمسمائة ارمني ذكر انهم من بلده . وان الواصل منهم الى القدس لأجل متعبده . وطلب مظفر الدين بن علي كوجك زهاء الف ارمني ادعي انهم من الرها . فأجراه السلطان من اطلاقهم له على ما اشتهى . وكان السلطان قد رتب عدة دواوين . في كل ديوان منها عدة من الذواب من المصريين ومنهم من الشاميين . فمن اخذ من أحد الدواوين خطأ بالاداء انطلق مع الطلقاء . بعد عرض خطه على من بالباب من الامناء والوكلاء . فنذكر لي من لا أشك في مقاله . انه كان يحضر في الديوان ويطلع على حاله . فربما كتبوا خطأ لمن نقهه في كيسهم . ويلبس امر تلبيسهم . فكانوا شركاء بيت المال لا امناء . وخانوه على ما حصل لكل من الغنى والذفع وبقي من بقي تحت رق واسار . ينتظر به انقضاء المدة المضروبة . والعجز عن الوفاء بالطبيعة المطلوبة .

## ذكر يوم الفتح وهو سابع عشري رجب

واتفق فتح البيت المقدس في يوم كان في مثل ليلته منه المعراج . وتم بما وضع من منهاج النصر الابتهاج . وزاد من الالسنه بالدعاء والابتهاج . وجلس السلطان للهناء . للقاء الاكابر والامراء والمتصوفة والعلماء . وهو جالس على هيئة

التواضع وهيبة الوقار . بين الفقهاء واهل العلم جلسائه  
الابرار . ووجهه بذور البشر سافر . وأمله بعز النجح ظافر . وبابه  
مفتوح ورفده ممذوح . وحجابه مرفوع وخطابه مسموع . ونشاطه  
مقبل . ومحياه يلوح . ورياه يفوح . ومحبتة ترووق ومهابته  
تروع . وأفاقه تضىء ، وأخلاقه تضوع . ويده لفيض امواء  
السخاء . وفض افواه العطاء . ظاهرها قبلة القبل . وباطنها كعبة  
الامل . قد حلت له حالة الظفر . وكأن دسسته به هالة  
القمر . والقراء جلوس يقرأون ويرشدون . والشعراء وقوف  
يزشدون ويذشدون . والأعلام تبرز لتدشر . والاقلام تزير  
لتبشر . والعيون من فرط المسرة تدمع . والقلوب للفرح بالنصرة  
تخشع . والألسنة بالابتهاال باله تضرع . والكاتب يذشي ويوشي  
ويوشع . والبليغ يسهب ويوجز ويضيق ويوسع . فما شبهت قلمي  
الا بشائر أري البشائر . ولا وجهت كلمي الا لطائف وحي  
الطائف . وما ارسلت يراعى الا ليراعى الرسائل . ويشيع  
الفواضل . ويشيع القول . ويسبغ الطول ويطول بالحجة وان كان  
في حجمه قصر . ويصول بالهجة وان كان في حجمه حصر . ويسمن  
الملك به وهو نحيف . ويثقل الجيش به وهو خفيف . ويبدي بياض  
الغرة من سواد . ويجلو بهجة الضياء من محجة الظلمة . ويجري  
بالآجال والارزاق والمنع والاطلاق . والخلاف والوفاق . والارقاق  
والاعناق . والعدة والانجاز . والجدة والاعواز والفتق  
والرتق . والرقع والخرق . وهو الذي يجمع الجيوش . ويرفع  
العروش . ويوحش المستأذس المستوحش . وينعش العاثر ويعثر  
المتنعش . يجري بالاعداء على الاعداء وبالايلاء للاولياء . فبشرت  
باقلامي اقاليم البشر ، وعبرت باعاجيبي عن عجائب العبر وملات  
البروج بالدراري والدروج بالدرر . ورويت تلك البشر حتى اطابت  
ريا الري وسمر سمر قند . واطربت وحلت حتى فاقت القنيد  
والقند . وعلقت بفتح القدس بلاد الاسلام وزينت . وشرحت  
فضيلتها وبينت . وابت فريضة زيارتها وتعينت .

## ذكر حالي في العود الى الخدمة

وكنت قد انقطعت من الصحبة لما عرض لي في المرض من الذوبة فأقمت بدمشق اداوي مزاجي واداري منهاجي واعالج تدييري وادبر علاجي الى ان وصل الخبر بان السلطان نزل على القدس فوجدت خفة في النفس وأذست بابلالي بعض الازس وامنت لو ذوقي بالصحة والاستقامة من النكس ، فاوجهت الى تلك الجهة وسرت بطاعة النفس المنتزعة ، وعصيان الطبيعة المنكرهه واخترت تعب السفر على راحة الاقامة ورأيت في ركوب طريق العطب وجه السلامة ووصلت بكرة السبت ثاني يوم الفتح بالسعد واليمن والنجاح فوصلني السلطان عند وصولي باجلى بشاشة واحلى هشاشة وسرى عنه سر وابر وبر وقال: اين كنت. ولم ابطأت. وحيث اصببت في المجيء فما اخطأت وقد كنا في انتظارك. والسؤال عن اخبارك. وهذا اوان احسانك. فاين احسان اوانك. فاجر بناذك بجرأة بيانك. واجر في ميدانك. وما للبشائر الا واصفها. وللفرائد الا راصفها . وللقصاحة الا قسها . وللحصافة الا قيسها .

وكان قد جمع امس كتاب دواوينه على اذشاء كتب ما ارتضاها . واقتضاب معان وما اقتضاها ، وكانوا سألوه في كتاب الديوان العزيز. فقال لهذا من هو اقوم به وعناني. فلما رأني ناداني واستناني . فصرفت الى امتثال امره عناني . وسلم إلى الكتب التي كتبوها . بالالفاظ التي رتبوها . وقال :  
غيرها . ولا تسيرها . وغرضه اني اعدل معوجها . وابدل مثنجها . وافترع المعنى البكر للفتح البكر . واوشح ذكر اياته بآيات الذكر . فاستجديتها فمما استجديتها . واستجديتها فمما استملمحتها . وشممتها وبها سهك . وكشفتها وسترها هتك . وكانوا قد تعاونوا عليها وفيها لهم شرك . فشرعت في اقتضاض الابكار . واقتضاء الافكار . واقتراح القريحة . واقتراء رحاب الكلم

الفصيحة . وافتتحت في بشرى الفتح . وكتاب الديوان العزيز  
واوردت المعنى البليغ في اللفظ الوجيز . ووشحت ووشعت وشعبت  
واشبعته . واطلت واطنبت . وصبت واصبت . واعجزت واعجبت .  
واطريت واطربت . وابتعدت وابتعدت وصرعت وصرعت . وطابقت  
وجانست . ووافقت وانست وبينت فضل عصر الامام الناصر على  
الاعصار السابقة بالابصار الصادقة . وان هذا الفتح اخبره الله  
لزمانه ومكن منه لكانه . وسلط عليه بسلطانه . وحسنه لنا  
بإحسانه . فقد عبرت القرون الماضية على حسرته . وظفر وهو  
واشباعه بمسرتة . وما حصل لنا الا ببركة ايامه وحركة اعتزامة .  
وذكرت من هذا كل ماراق وشاق . ونور الافاق . وان هذه الفتوح  
تفوح بارح نشره . وتحى بحيا برة . فما ايمن ايامنا بايامه .  
وما اسعد اماننا بانعامه . وكتبت الى كل ذي طرف بمعنى طريف .  
ولفظ فصيح حصيف . وسهرت تلك الليالي حتى نظمت اللآلي .  
وحليت المعالي . وقرحت المعادي . وفرحت الموالي . وسارت  
شواردي الى المشرق والمغرب معربة عن هذا الفتح المعرب عن النصر  
المذهب . وبشرت المسجد الحرام بخلاص المسجد الاقصى وتلوت :  
( شرع لكم من الدين ما وصى ) ( الشورى ٤٢ ) وهنأت الحجر  
الاسود بالصخرة البيضاء . ومنزل الوحي بمحل الاسراء . ومقر  
سيد المرسلين وخاتم النبيين بمقر الرسل والانبياء . ومقام ابراهيم  
بموضع قدم محمد المصطفى صلى الله عليه وعليهم اجمعين . وادام  
اهل الاسلام بشرف بيته مستمتعين . وتسامع الناس بهذا النصر  
الكريم . والفتح العظيم فوفدوا لزيارته من كل فج عميق . وسلكوا  
اليه في كل طريق . واحرموا من البيت المقدس الى البيت العتيق .  
وتنزهوا من ازهار كراماته في الروض الانيق .

ذكر ماجرى عليه حال الفرنج في خروجهم من القدس

وشرع الافرنج في بيع الامتعة واستخراج ذخائرهم المودعة .  
وباعوا بالمجان في سوق الهوان . وتقاعد الناس بهم فابتاعوها

بارخص الاثمان . وباعوا بأقل من دينار كل مايساوى اكثر من  
عشرة . وجدوا في ضم ما وجدوا من امور لهم منتشرة . وكذبوا  
كنائسهم . واخذوا من نفائسهم . ونقلوا منها الذهبيات  
والفضيات . من الاواني والقناديل والحريريات والمذهبات . من  
الستور والمناديل . ونقضوا من الكنائس الكنائس . واستخرجوا من  
الخزائن الدفائن . وجمع البطرك الكبير كل ما كان على القبر من  
صفائح التبر ومصوغات العسجد ومصنوعات اللجين . وجمع ما كان  
في قمامة من الجنسين والنسجين . فقلت للسسلطان بهذه اموال  
وافره . واحوال ظاهرة . تبلغ مائتي الف دينار . والامان على  
اموالهم لاموال الكنائس والاديار . فلا تتركها في ايدي هؤلاء  
الفجار . فقال اذا تأولنا عليهم نسبونا الى الغدر وهم جاهلون بسر  
هذا الامر فنحن نجريهم على ظاهر الامان ولا نتركهم يرمون اهل  
الايمان بكث الايمان بل يتحدثون بما افضناه من الاحسان .  
فتركوا ما ثقل وحملوا ما عز . وخف ونفضوا من تراب تراثهم وقمامة  
قماتهم الكف وانتقل معظمهم الي صور . وكثفوا بالديجور . وبقي  
منهم زهاء خمسة عشر الفا امتنعوا من مشروع الحق فاختصوا  
بمشروط الرق . فاما الرجال وكانوا في تقدير سبعة آلاف فانهم  
الفوا ذلا لم يكونوا به بالاف . فاقتسمتهم ايدي السبي ايدي سباً .  
وتفرق الغاضمون بجمعهم في الوهاد والربا . واحصيت النساء  
والصبيان ثمانية الاف نسمة . عادت بيننا مقدسمة . واصبحت  
ببكاؤها وجوه الدولة مبتسمة . فكم محجوبة هتكت . ومالكة ملكت .  
وعزباء نكحت . وعزيزة منحت . وبخيلة تسمحت . وخيبة توقحت .  
ومجدة مزجت . ومصونة ابتذلت . وفارغة شغلت . وعقيلة امتهنت .  
وجميلة امتحنت . وعذراء افترعت . وشماء فرعت . ولياه رشفت .  
وظمياء فرشت . وريضة اصحبت . ورضية اصبحت . فكم تسرى  
منهن سري . وتجراً عليهن جري . وقضى وطره عزب . ونفى نهمه  
سغب . وفثأ سورته شغب . وكم غانية استخلصت . وغالية  
استرخصت . ووالية اعتزلت . وعالية استنزلت . ووحشية صيدت .  
وعرشية قيدت . ولما تقدس القدس من رجس الفرنج اهل الرجز .

وخلع لباس الذل ولبس خلع العز . ابي النصرى بعد اداء القطيعة ان يخرجوا . وتضرعوا في ان يسكنوا ولايزعجوا . وبذلوا خدما وخدموا ببذول . وقابلوا كل مالزموا به بالتزام وقبول . واعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . وشحت افواههم بما شجاهم فزاد شجاهم وهم فاغرون . وبخلوا في الزمة . وخرجوا الى العصمه . وشغلوا بالخدمه . واستعملوا في المهنة . وعدوا المنحة في تلك المنحة .

## ذكر ماظهره السلطان في القدس من الحسنات ومحاه من السيئات

ولما تسلم السلطان القدس امر باظهار المحراب . وحتم به امر الايجاب . وكان الداوية قد بذوا في وجهه جدارا وتركوه للغلة هريا . وقيل كانوا اتخذه مستراحا عدوانا وبغيا . وكانوا قد بذوا من غربي القبلة دارا وسيعة . وكنيسة رقيقة . فاعز برفع ذلك الحجاب . وكشف النقاب . عن عروس المحراب . وهدم ماقدامه من الابنية . وتنظيف ما حوله من الافنية . بحيث يجتمع الناس في الجمعة . في العرصة المتسعة . ونصب المنبر واطهر المحراب المطهر . ونقض ما حدثوه بين السواري . وفرشوا تلك البسيطة بالبسط الرفيعة عوض الحصر والبواري . وعلقت القناديل . وتلى التنزيل . وحق الحق وبطلت الاباطيل . وتولى الفرقان وعزل الانجيل . وصفت السجادات . وصفت العبادات . واقيمت الصلوات . واديمت الدعوات . وتجلت البركات . وانجلت الكربات . وانجابت الغيابات . وانتابت الهدايات . وتليت الايات . واعليت الرايات . ونطق الاذان وخرس الناقوس . وحضر المؤذنون وغاب القسوس . وزال العبدوس والبوس . وطابت الانفاس والنفوس . واقبلت السعود وادبرت النحوس . وعاد الايمان الغريب منه الى موطنه . وطلب الفضل من مبعده . وورد القراء وقرىء

الاوراد . واجتمع الزهاد والعباد والابدال والاولاد . وعبد الواحد .  
ووجد العابد . وتوافد الراكع والساجد . والخاشع والواجد .  
والزاهي والزاهد . والحاكم والشاهد . والجاهد والمجاهد . والقائم  
والقاعد \* والمتعهد الساهد . والزائر والوافد . وصدق المنبر \*  
وصدع المذكر . وانبعث المعشر . وذكر البعث والحشر . واملى  
الحفاظ . واسلى الوعاظ . وتذاكر العلماء وتناظر الفقهاء . وتحدث  
الرواة . وروى المحدثون . وتحذف الهداة وهدى المتحذفون .  
واخلص الداعوان ودعا المخلصون . واخذ بالعزيمة المترخصون .  
ولخص المفسرون \* وفسر المخلصون . وانتدى الفضلاء وانتدب  
الخطباء . وكثر المترشحون للخطابة . المتوشحون بالاصابة .  
المعروفون بالفصاحة \* الموصوفون بالحصافة فما فيهم الا من خطب  
الرتبة \* ورتب الخطبة . وانشأ معني شائقا . ووشى لفظا رائقا .  
وسوى كلاما بالموضع لائقا . وروى مبتكرا من البلاغة فائقا .  
وفيهم من عرض علي خطبته . وطلب مني نصيبته \* وتمنى ان ترجح  
فضيلته . وتنجح وسيلته . وتسبق منيته فيها امنيته . وكلهم طال  
الى الالتهاه بها عنقه . وسال من الالتهاه عليها عرقه . ومامنهم الا  
من يتأهب ويترقب . ويتوسل ويتقرب . وفيهم من يتعرض  
ويتضرع . ويتشوف ويتشفع . وكل قد لبس وقاره ووقر لباسه .  
وضرب في اخماسه اسداسه . ورفع لهذه الرياسة راسه . والسلطان  
لايعين . ولايبين . ولايخص . ولاينص . ومنهم من يقول ليتني  
خطبت في الجمعة الاولى . فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان .  
اصبح الناس يسألون في تعيين الخطيب السلطان \* وامتلا  
الجامع \* واحتفلت الجامع \* وتوجست الابصار والمسامع \*  
وقاضت لركة القلوب المدامع \* وراعت لولية تلك الحالة وبهاء تلك  
البهجة الروائع \* وشاعت من سر السرور بلبس حبر الحبور  
الشوائع \* وغصت بالاسابقين اليها المواضع \* وتوسعت العيون \*  
وتقسمت الظنون \* وقال الناس: هذا يوم كريم \* وفضل عميم \*  
وموسم عظيم \* هذا يوم تجاب فيه الدعوات \* وتصاب البركات \*  
وتسال العبرات \* وتقال العثرات \* ويتيقظ الغافلون \* ويتعظ  
العاملون \* وطوبى لمن عاش \* حتى حضر هذا اليوم الذي فيه

انتعش الاسلام وارتاش • وما فضل هذه الطائفة الحاضرة •  
والعصبة الطاهرة • والامة الظاهرة • وما اكرم هذه النصره  
الناصرية • والاسرة الامامية • والدعوة العباسية • والمملكة  
الايوبية • والدولة الصلاحية • وهل في بلاد الاسلام اشرف من هذه  
الجماعة • التي شرفها الله تعالى بالتوفيق لهذه الطاعة • وتكلموا  
فيمن يخطب • ولمن يكون المنصب • وتفاوضوا في التفويض •  
وتحدثوا بالتصريح والتعريض • والاعلام تعالى • والمنبر يكسى  
ويجلى • والاصوات ترتفع • والجماعات تجتمع • والافواج  
تزدحم • والامواج تلتطم • وللعارفين من الضجيج • ما في عرفات  
الحجيج • حتى حان الزوال • وزال الاعتدال • وحيعل  
الداعي ( ١ ) • واعجل الساعي • فنصب السلطان الخطيب  
بنصه • وابان عن اختياره بعد فحصه • واوعز الى القاضي محيي  
الدين ابي المعالي محمد بن زكي الدين على القرشي بان يرقى ذلك  
المرقى • وترك جباه الباقيين بتقدمه عرقى • فأعرتة من عندي اهبة  
سوداء من تشريف الخلافة • حتى تكتمل له شرف الافاضة  
والاضافة • فرقى العود • ولقى السعود • واهتزت اعطاف المنبر •  
واعتزت اطراف المعشر • وخطب وانصتوا • ونطق وسكتوا • وافصح  
واعرب • وابدع واغرب • وابدع واغرب • واعجز واعجب •  
واوجز واسهب • ووعز في خطيبته • وخطب بموعظتيه • وابان عن  
فضل البيت المقدس وتقديسه • والمسجد الاقصى من اول تأسيسه •  
وطهيره بعد تنجيسه • واخراس ناقوسه واخراج قسيسه • ودعا  
للخليفة والسلطان • وختم بقوله تعالى « ان الله يأمر بالعدل  
والاحسان » ( النحل ٩٠ ) ونزل وصلى في المحراب • وافتتح ببسم  
الله من أم الكتاب • فائتم بتلك الامة • وثم نزول الرحمه • وكمل  
وصول النعمة • ولما قضيت الصلاة انتشر الناس • واشهر  
الايناس • وانعقد الاجتماع واطرد القياس • وكان قد نصب للوعظ  
تجاه القبلة سرير • ليفرعه كبير • فجلس عليه زين الدين ابو الحسن  
علي بن نجا • فذكر من خاف ومن رجا • ومن سعد ومن شقي ومن  
هلك ومن نجا • وخوف بالحجة ذوي الحجا • وجلا بذور عظاته من  
ظلمات الشبهات مادجا • واتي بكل عظه للراقيين موقظة • والظالمين

محفوظة . ولا ولياء الله مرققة ولا عداة الله مغلظة . وضح المتباكون . وعج المتشاكون . ورقت القلوب . وخفت الكروب . وتصاعدت النعرات . وتحدرت العبرات . وقاب المذنبون . واناب المتحويون . وصاح التوابون . وناح الاوابون . وجرت حالات جلت . وجلوات حلت . ودعوات علت . وضراعات قبلت . وفرص من الولاية الالهية انتهزت . وحصص من العناية الربانية احرزت . وصلى السلطان في قبة الصخرة والصفوف على سعة الصحن بها متصله . والامة الى الله بدوام نصره مبتهلة . والوجوه الموجهة الى القبلة عليه مقبلة . والايدي الى الله مرفوعة . والدعوات له مسموعة . ثم رتب في المسجد الاقصى خطيبا استمرت خطبته واستقرت نصبته .

## وصف الصخرة المعظمة عمرها الله

واما الصخرة فقد كان الفرنج قد بنوا عليها كنيسة ومذبحا . ولم يتركوا فيها للايدي المتبركة ولاالعيون المدركة ملمسا ولامطمحا . وقد زينوها بالصور والتماثيل . وعينوا بها مواضع الرهبان ومحط الانجيل . وكملوا بها اسباب التعظيم والتبجيل . وافردوا فيها لموضع القدم قبة صغيرة مذهبة . باعمدة الرخام منصبه . وقالوا محل قدم المسيح . وهو مقام التقديس والتسبيح . وكانت فيها صور الانعام . مثبتة في الرخام . ورأيت في تلك التصاوير . اشباه الخنازير . والصخرة المقصودة المزوره بما عليها من الابنية مستوره .

وبتلك الكنيسة المعمورة مغمورة . فامر السلطان بكشف نقابها . ورفع حجابها . وحسر لثامها . وقشر رخامها . وكسر رجامها ونقض بنائها . وفض غطائها . وابرزها للزائرين . وأظهرها للناظرين . ونزع لبوسها . وزفاف عروسها . واخراج درها من الصدف . واطلع بدرها من الاسدف . وهدم سجنها وفك رهنها .

واراعة حسنها . واضاءة يمنها . وابداء وجهها الصبيح . وجملاء شرفها الصريح . وردها الى الحالة الحالية .

واشرقت القناديل من فوقها نورا على نور . وعملت عليها حظيرة من شبابيك حديد والاعتناء بها الى الان كل يوم في مزيد . ورتب السلطان في قبة الصخرة اماما من احسن القراء تلاوة . وازينهم طلاوة . وانداهم صوتا . واسماهم في الديانة صيتا . واعرفهم بالقراءات السبع بل العشر . واطيبهم في العرف والنشر . واغناه واقناه . واولاه لما ولاه . ووقف عليه دارا وارضا وبستانا . واسدى اليه معروفا دارا واحسانا . وحمل اليها والى محراب المسجد الاقصى مصاحف وختمات . وريعات معظمات . ولاتزال بين ايدي الزائرين على كراسيها مرفوعة . وعلى اسرتها موضوعة . ورتب لهذه القبة خاصة وللبيت المقدس عامه \* قدومه تشمل مصالحها ضامه \* فما ترتب الا العارفون العاكفون القائمون بالعبادة الواقفون \* فما ابهج ليلها وقد حضرت الجموع \* وزهـرت الشموع \* وبان الخشوع . ودان الخضوع . ودرت من المتقين الدموع \* واستعرت من العارفين الضلوع . فهناك كل ولي يعبد ربه ويأمل بره . وكل اشعث اغبر لايوبه له لو اقسام على الله لابره \* وهناك كل من يحيي الليل ويقومه \* ويسمو بالحق ويسومه \* وهناك من يختم القرآن ويرتله . ويطرد الشيطان ويبطله . ومن عرفته لمعرفته الاسحار \* ومن افقه لتهدده الاوراد والاذكار . وما سعد نهارها \* حين تستقبل الملائكة زوارها \* وتلحف الشمس انوارها انوارها \* وتحمل القلوب اليها اسرارها \* وتضع الجناة عندها اوزارها \* وتستهدي صبيحة كل يوم منها اسفارها \* وما اظهر من تولى اظهارها \* واظهر من باشر اطهارها \* وكان الفرنج قد قطعوا من الصخرة قطعا وحملوا منها الى قسطنطينية . ونقلوا منها الى صقلية . وقيل باعوا بوزنها ذهباً . واتخذوا ذلك مكسبا . ولما ظهرت ظهرت مواضعها . وقطعها القلوب لما بانَت مقاطعها . فهي الان مبرزة للعيون بحزها . باقية على الايام بعزها .

مصونة للاسلام في خدرها وحرزها . وهذا كله تم بعد انفصال  
السلطان . والشروع في العمران \* وامر بترخيم محراب الاقصى وان  
يبالغ فيه ويستقصى . وتنافس ملوك بني ايوب فيما يؤثر بها من  
الاثار الحسنه . وفيما يجمع لهم ود القلوب وشكر الاسنة . فما  
منهم الا من اجمل واحسن . وفعل ما يمكن . وجلى وبين وحلى وزين .  
واشفق وانفق . واغنى واقتى . واعنتي وابنتي . ووفى واوفى .  
واصفى واظفى . واتى الملك العادل سيف الدين ابو بكر . بكل صنع  
بكر . موجب لكل شكر . وكل فعل جميل ورفد جزيل . ومن جلى ومنح  
جليل . ومكرمة حميدة . ومحمدة كريمة . وفضيلة بها ترجع .  
ووسيلة بها نجح . واتي الملك المظفر تقي الدين عمر . بكل ماعم به  
العرف وغمر . ونهى وامر . وبني وعمر . ومن جملة افعاله  
المشكورة \* ومكرماته المشهورة \* انه حضر يوما في قبة الصخرة .  
مع جماعة من السراة الاسرة . ومعه من ماء الورد احمال . ولاجل  
الصدقة والرفد مال . فانتهاز فرصة هذه الفضيلة التي ابتكرها  
بالافتراض . وتولى بيده كدس تلك الساحات والعراض . ثم غسلها  
بالماء مرارا حتى تطهرت . ثم اتبع الماء بماء الورد صبا حتى تعطرت .  
وكذلك طهر حيطانها . وغسل جدرانها . ثم اتى بمجامر الطيب  
فدبخت . وتوضعت وتعرفت وفغمت مناشق اهل الهدى \* وأرغمت  
أناف العدى \* ومازال مع قوته \* في تطهير البقعة المباركة طول  
يومه \* حتى تيقنت طهارتها \* وبينت عمارتها \* وراقب  
نضارتها \* ووقفت عليها الاستحسان نظارتها \* ثم فرق ذلك المال  
فيها على ذوي الاستحقاق \* وافتخر بأن فاق الكرام بالانفاق \*  
وجاء الملك الافضل نور الدين علي . بكل نور جلي \* وكرم ملي \*  
واحسان سني \* وانعام هني وعرف زكي وعرف زكي \* وعطاء  
مبتدع \* وانطاق بحمده الالسن \* وبسط بها الصنيعة وفرش فيها  
البسط الرفيعة \* وهدي واهدى \* واعاد بعد ماابدى \* وانار  
واسدى \* وافاض الندى \* وفض الجدا \* ونفض الاكياس \* حتى  
خلنا به الانفاض والافلاس \* وسيأتي ذكر مااعتمده من بناء اسوار  
القدس وحفر خنادقه \* واعجز بما اعجب من سوابق معروفة

ولو احقة • مالم يشق احد فيه غبارة • ولا ملك سابق فيه مضماره •  
واما الملك العزيز عثمان • فانه اتى بالاحسان الذي استظهر به  
الايمان • وذلك انه لما عاد الى مصر • وقد شاهد الفتح والنصر •  
ترك خزانة سلاحه بالقدس كلها • ولم ير بعد حصولها به نقلها •  
وكانت احمالا باموال • واثقالا كجبال • ونخائر وافية • وعددا  
واقية ودروعا سوابغ • ونصولا دوامغ • وخونا وتـرائك •  
ورماحات ونيازك • وقنا وقنابل • وصواقل وذوابل • وجروخا  
وقسيا • ويمانيا وهنديا • يزنيا • ورينيا ومشرفا • وزيارات •  
ونفاطات وقطاعات • وعدد النقوب • وجميع ادوات الحروب •  
فاستظهرت بها المدينة • وتوثقت بها عراها المتينة • وكان من جملة  
ما شرط على الفرنج ان يتركوا لنا خيلهم وعدتهم • ويخرجوا قبل ان  
يستوفي الباكون في اداء القطيعة مدتهم • فتوفرت بذلك عدد البلد •  
واستغني بذلك عما يصل من المدد •

ذكر محراب داود عليه السلام . وغيره من المشاهد  
الكرام وتبديل الكنائس . وانشاء المدارس

واما محراب داود عليه السلام خارج المسجد الاقصى فانه في حصن  
عند باب المدينة منيع-وموضع عال رفيع . وهو الحصن الذي يقيم به  
الوالي . فاعتنى السلطان باحواله الحوالي ورتب له اماما .  
ومؤذنين وقواما . وهو بمثابة الصالحين . ومزار الغائبين  
والرائحين . فاحياه وجدده . ونهج لقاصديه جدده . وامر بعمارة  
جميع المساجد . وصون المشاهد وانجاح المقاصد . واصفاء الموارد  
للقاصد والوارد . وكان موضع هذه القلعة دار داود وسليمان عليهما  
السلام . وكان ينتابهما فيها الانام . وكان الملك العادل نازلا في  
كنيسة صهيون . واجناده على بابها مخيمون . وفاوض السلطان  
جلساؤه من العلماء الابرار والاتقياء الاخيار في مدرسة للفقهاء  
الشافعية . ورباط للصالحاء الصوفية . فعين للمدرسة الكنيسة

المعروفة بصند حنة عند باب اسباط . وعين دار البطرك وهي بقرب  
كنيسة قمامة للرباط . ووقف عليهما وقوفا . واسدى بذلك الى  
الطائفين معروفا . وارتاد ايضا مدارس للطوائف . ليضيفها الى  
ما ولاه من العوارف . وامر باغلاق ابواب كنيسة قمامة . وحرم  
على النصرى زيارتها ولا الالمامة . وتفاوض الناس عنده فيها .  
فمنهم من اشار بهدم مبانيها . وتعفية اثارها . وتعمية نهج  
مزارها . وازالة تماثيلها . وازاحة اباطيلها . واطفاء قنابيلها .  
واعفاء اناجيلها . وازهاب تساويلها . واكذاب اقاويلها . وقالوا  
اذا هدمت مبانيها . وألحقت باسافلها أعاليها . ونبشت المقبرة  
وعفيت . وأخذت نيرانها وأطفيت . ومحيت رسومها ونفيت .  
وحرثت أرضها . ودمر طولها وعرضها . انقطعت عنها امداد  
الزوار . وانحسرت عن قصدها مواد اطماع أهل النار . ومهما  
استمرت العمارة . استمرت الزيارة . وقال أكثر الناس لافئدة في  
هدمها ولا هدمها . ولا يؤذن بصد ابواب الزيارة عن الكفرة وسدها .  
فان متعبدهم موضع الصليب والقبر لاما يشاهد من البناء .  
ولا ينقطع عنها قصد اجناس النصرانية ولو نسفت أرضها في  
السماء . ولما فتح أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه القدس في صدر  
الاسلام أقرهم على هذا المكان . ولم يأمرهم بهدم البنيان .

ومما كتبه الى الديوان العزيز مجده الله للبشارة بفتح القدس  
مع الرسول ضياء الدين الشهر زوري من رسالة :

قد سبقت البشائر بما من الله به من الفتح العظيم . والنصر  
العميم . والعرف الجسيم . والفضل الوسيم . واليوم الاغر الاعز  
الكريم . والشرف الذي نخره الله لهذا العصر ليفضله . على  
الاعصار . وأراد تأخير فخاره الى هذه الايام ليكون بها تاريخ  
الفخار . فقد اعجز الملوك عن اقتضاء نصرته . وافتضاض عذرتة .  
وخص من اجراه على يده بسمو قدره ونمو قدرته . وأعاد به القدس  
الى قدسه . وأظهره وطهره من رجز الكفر ورجسه . وقد رجع

الاسلام الغريب منه إلى داره . وخرج قمر الهدى به من سراره .  
وزهبت ظلم الضلالة بأنواره . وعادت الأرض المقدسة الى ماكانت  
موصوفة به من التقديس . وأمنت المخاوف فيها وبها فصارت صباح  
السرى ومناخ التعريس . وقد أقصي عن المسجد الأقصى الاقصون  
من الله الابعدون . وتوافد اليه المصطفون الاقربون . والملائكة  
المقربون . وخرس الناقوس بزجل المسبحين . وخرج المفسدون  
ببخول المصلحين . وقال الحراب لأهله مرحبا وأهلا . وشمل  
جماعة المسلمين من اقامة الجمعة والجماعة ماجمع للاسلام فيه  
شملا . ورفعت الأعلام العباسية على منبره فأخذت من بره أوفى  
نصيب . وتلت بالسنة عذبة : « نصر من الله وفتح قريب » .  
( الصف ١٣ ) وغسلت الصخرة المباركة بدموع المتقين من ندس  
المشركين . وبعد أهل الاحد من قربها بقرب الموحين . فذكر بها ما  
كاد يذسى من عهد المعراج النبوي . وقامت بدلالاتها براهين الاعجاز  
المحمدي . وصافحت الايدي منها موضع القدم . وتجدد لها من  
البهجة والرسالة ما كان لها في القدم . فهو ثاني المسجدين . بل  
ثالث الحرمين . فليهن البيت الحرام خلاص أخيه البيت المقدس من  
الاسر . واسفار صبح الاسلام بعد طول اعتكار ليل الكفر . وتطهير  
مواقف الانبياء صلوات الله عليهم من أناس الارجاس . وتضوع  
أرج الرجاء في أرجائه بعد اليأس . فالحمد لله الذي أبدل الايحاش  
بالايناس . ونزع عنه بافاضة خلع الرحمة عليه لباس الباس .  
وجعل عصر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه على الاعصر  
مفضلا . وكمل بهذا الفتح الشريف شرف زمانه فأصبح فخر الدين  
والدنيا به مكمل . ويسر ببركات أيامه فتح البلاد الساحلية  
بأسرها . وعجل هلاك هذه الطائفة الطاغية من الفرنج بقتلها  
وأسرها . ولقد حل الكفر عروة عروة . وهد نروة نروة وعادت  
حباله رثا . وعقوده انكاثا . ومساكنه اجداثا . وصار حديثا بعد  
أن شوهد أهل الذمة أحداثا . فالرتاج مستفتح . والرجاء  
مستنجح . والبلاد مستخلصه . والقيم الغوالي منها بسوم العوالي  
مسترخصة . والعقائل مقتضة . والمعائل منفضة . ومناهل المنى

بمياه النجاح مرفضه . ونجوم الرجوم على شياطين الكفر بسيوف  
أهل الايمان منقضه . والثغور ميتسمه . والأمور منتظمة .  
والحصون متسلمة . والخصوم مذعنة مستسلمة . وأرض الكفر  
ينقضها الاسلام كل يوم من أطرافها . بل يستولى على اوساطها  
وأكنافها ويعيد إلى الطاعة كرها مذهب خلافها . ولقد أينع زرعها  
وثمرها من رؤوس المشركين وهذا أوان حصادها وقطافها . والنعمة  
بحمد الله عظيمة . والموهبة وأن خصت هذا الاقليم فهي في جميع  
أقاليم المسلمين عميمة . فلو شرح ما لهذا الفتح من جلالة العظمة  
ودلالة المكرمة لكبا قلم البليغ في مضمار البيان ولم يبلغ مدى : « قل  
لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي  
ولو جئنا بمثله مددا » (الكهف: ١٠٩) والقاضي ضياء الدين القاسم  
الشهر زوري قد توجه لهذه النعمة واصفا . وعندما يأمر به من إنهاء  
البشرى بها واقفا . وأولى من وصف العرف من كان بأوصافه  
عارفا . وأحق من شرح الحق والحقيقة من تفي بشرح الصدر  
مصادر شرحه . ويفتح على الاسلام أبواب الهناء بانتهاء ماتسنى  
من فتحه . ويحدث وهو الضياء ياسنفار صبحه .

## عادالحديث الى ما جرى بعد فتح القدس

واقام السلطان على القدس حتى تسلم مايقربها من حصون .  
واستباح كل ما للكفر بها من مصون . ورحل ولده الملك الافضل قبله  
الى عكا عائدا . وعن حوزتها بباسة وجوده نايدا . ثم تبعه الملك  
المظفر فرحل . وسار الى عكا . وبها نزل . ثم عمد السلطان الى ما  
جمعه ففرقه . وأخرجه في ذوي الاستحقاق وأنفقه . وفرضه  
بعوارفه . وفضه في مصارفه . فسد خلة المعيل . وأسهم منه ابن  
السييل . وحمل به عن الغارم . واحيي به سنن المكارم . ووضع  
في أهله . وأحله في محله . وصرفه في حله . وقدم التوسعة على ذوي  
الاضافة . والانفاق في أهل الفاقه . واجنى الاجناد منه مقاطف .

وجعل للمجاهدين منه وظائف . وابقاه بافئائه ذخرا للاخرة . وكسبا للمحامد الفاخرة . فاكثروا عدله على بذله . واستكثروا ما فضه بفضله . فقال كيف أمتع الحق مستحقه . وهذا الذي أنفقه هو الذي أبقيه . وانا قبله مني المستحق فالمنة له علي فيه . فسانه يخلصني من الامانة ويطلقني من وثاقها . فان الذي في يدي وديعة احفظها لذوي استحقاقها . فما عاد الوفد إلا بوفر ودثر . والافاضة في نظم من حمده ودثر . وحاز كل ذي فضيلة منه فضلا . وتقياً كل فئة ظلا . وكثر السائلون بالفضائل . والقائلون بالوسائل . والقاصدون بالقصائد . والوافدون بالفوائد . والواردون بالفوارد . والسابقون بالشوافع والشافعون بالسوابق . والسالكون للطرائق . والمالكون للحقائق . فما ترى الا قارئا باللسان الفصيح . وراويا للكتاب الصحيح . ومتكلما في مسألة . ومتفحصا عن مشكلة وموردا لحديث نبوي . وذاكرا لحكم مذهبي . وسائلا عن لفظ لغوي . ومعنى نحوي أو مقرضا بقريض . أو معرضا بتصريح أو مصرحا بتعريض أو جالبا لمدحه . أو طالبا لمنحه . أو مستضعفا بفاقه . أو مستسعفا بفاقه . أو ناشدا بذشيدته . أو مسمعا بتغريب وتغريد . وما فيهم الا من أحظي بسهم . أو ارضي بقسم . وأصيب وأجيب . واجيز بتقرير وتقريب ، فليل له لو نخرت هذا المال للمال . لشفيت به مايقع من الاعتلال . وكفيت بالحقيقة ما يسنع من الاختلال . فقال أملي قوي من الله الكافل بنجح الآمال . وجمع الاسراء المطلقين . وكانوا الوفا من المسلمين . فكساهم وأساهم . وواساهم . وأذهب أساهم . فانطلق كل منهم إلى وطنه ووطره . ناجيا من ضرره . ووضره ومكث السلطان عليه مقيما . للنظر في مصالحه مستتيما . فقيل ما قعدوك عن صدور . فأنهض اليها عسكري المنصور . وانت تدخلها يوم وصولك . وتحظي منها بمرادك وسؤالك ، فأنو السير . وأخو الخير . وأحصر الخبر . واحظر التأخير . وفي تعجيل النهضة . تحصيلها في القبضة . وفي بدار الامام بدارها . بشرى أهلة الفتوح المقمرة بايدارها . فأسر بالعسكر وأسرع . واقطع عن الكفر تلك الاعمال واقطع . وأكثر من كان يستحثه . وعلى النهوض يبعثه . الامير علي أبو أحمد المعروف

بالمشطوب . وكان من اكابر الامراء الكافين للخطوب . الكافين في الحروب . وكانت معه صيدا وبيروت . وهما بقرب صور وقد أشفق ان فتحها يفوت . فرأى الحظ في الحض . وحرض على الفرض . ولم يفكر في قوتها بانتقال رجال الساحل إليها . وأنه يشق في هذا الوقت النزول عليها . وكان المركيس عند اشتغالنا بالقدس باحكام صور مشتغلا . وعلى الاستهتار بتحسينها مشتغلا . وقد استجد قدامها من البحر الي البحر خندقا . وجعل الطريق اليها مضيقا . واحكم اسباب الاحكام . واخذ بالحزم في الاهتمام .

## ذكر رحيل السلطان عن القدس على قصد حصار صور

ورحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان . وقد عنا لامره كل ناس ودان ودان . وودعه ولده عزيز مصر في اول منزله . وسايره لكراهية فراقه مقدار مرحلة . ثم اوصاه وشيعة واستصحب اخاه الملك العادل معه . مستظها بأخائه . ومستبشرا بألائه . مستبصرا بآرائه . مستنصرا بمضائه مستفنيا بغنائه . وموفيا بوفائه . وهو بعقده يعقد وبحله يحل . وبشده يشد وبحاوله يحل . والعساكر بالافضاء فائضه . والخطوب الريضة رائضه . والى استنهاض النصر لانصارها ناهضة . ومن هواها انها في داماء الدماء من اهل الكفر خائضة . فوصل الى عكا في اول شهر رمضان فخيم بظاھرھا ظاھرًا بخيمه . باھرا بتاخيرہ وتقنيہ . قاھرا بشباه المبير . زاھرا بسناہ المنير . جاھرا بسرہ . ظاھرا في بحرہ . واقام اياما يتفكر ويتدبر . ويستشير ويستخير . والمشطوب يستعجله . ولا يمهلہ . ويحرض بالبعث . ويحذر من المكث . ويقول الفرصة تدرك بالحث . وتفوت باللبث . فسار لندائه ملييا . ولجيش النصر معيبا . ولرايه مقلدا . وبالله عز وجل

متأيدا . فوصل الى صور تاسع شهر رمضان يوم الجمعة .  
بالحافل المحققة والجموع المجتمعة . فنزل بعيدا من سورها .  
سعيدا في ترتيب أمورها . مضروبة قبابه . مجنوبة عرابه . محجوبة  
بالبنود والجنود أرضه وسماؤه . منشورة راياته منصوره آراؤه .  
خافقة على الاعداء عذبات عذابه . دافقة في ثرى النجح في الانحاء  
ثرات صوب صوابه . قد كست خيامه عري العراء . وفضت أشعة  
بيضه وسمره الفضة بالفضاء . واحتوت مضاربه المضيئة بالائه  
وأرائه على مضارب المضاء . وباحت استباحه حمى المشركين  
للموحدين بهر السراء . فمكث أياما حتى تواصل المدد . وتكامل  
العدد . واستحضر آلات الحصار . واستكثر من المجانيق الصفار  
والكبار . ثم تقدم اليها وخيم عليها الثاني والعشرين من الشهر يوم  
الخميس . في خميس يسير في الوشيج كالأسد في الخيس . ونزلت  
النوازل المركسة من نزوله ونزاله بالمركيس . فوقع في  
الدرديس . والعذاب البيئس . فكانما نفخ في صور صور . فحشر  
أهل جهنم وملأوا السور ٥ . واتصلت زيارة الزيارات للجروح  
بالجروح . وتوافت مناجاة المجانيق بالخدوش والشدوخ . وارسلت  
الحجارات حاجرة حاجزه . وألسنة أهل الرجس والرجز بالفحشاء  
راجزه . وكانت صور على السوء مستوية . وعلى كل من خرج من  
القدس وبلاد الساحل محتوية . فضجوا وارتجوا . وعاجوا  
وعجوا . ولجأوا ولجوا . ونصبوا على كل نيق منجنيقا . وشدوا من  
كل جانب ركنا وثيقا . وشدوا في الجبال . ومدوا في الحبال . ورموا  
من الشرافات الشرفات . بالشرور والافات . وسلب الحجار  
حجاها . وامت الامة وجاءها وجاها . فكم من رؤوس اطارت ٥  
ونفوس ابارت . وبر خسفت . وبدر كسفت . وبحر نزلت . وطود  
نسفت . فحول السلطان الى قريبا له خيمة صغيرة . وانهض بنات  
الحنايا بالمنيا عليها مغيرة . وصف الجفاتي . فصدف اتيها  
الاتي . وعارض بحرها بعرض بحره . ورد كيد الكفر من المنجنيق  
بما نصبه من المنجنيق في نحره . فاحبط اعمالهم باعماله . واهبط  
رجالهم برجاله . وقابل الابراج بالابراج . وحاول بالردى علاج  
العلاج . ووالاها حجارات وصخورا . حتى جعلت صور صور

سورا . وجد في امرها . واجاد في حصرها . ووصل اليه في تلك  
الايام . من قوي به ظهر الاسلام . ولده الملك الظاهر غياث الدين  
غازي . وهو الذي جل في سماحته وحماسته عن الموازن والموازي .  
فقدم مبارك القدم . متدارك النعم . عالي الهمم . غالي القيم . ومعه  
عسكر مجر لجب جلبه من حلب . قد استصحب البيض والسمر  
والبيض واليلب . فظهر من الملك الظاهر ما ملك به قبول القلوب  
واغرى سيفه بسفك دم الكفر المطلول المطلوب ، ورأى نصب خيمته  
وراء خيمة ابيه المنصوبة ، وجد في استرجاع مدينة الاسلام  
المغصوبة ، وقدم بين يديه كل حجار راجح ، وكل نقاب  
ناجح ، لصم الصفاح مصافح ، وكل جاندار جان در الردى  
للكفار ، وكل زراق رزق الجسارة على اهل النار بالنار ، وكل  
منجنيقي من جناته تقبس ذبالة البسالة ، وكل جرخي رخي البال  
بالهدى لأصماء اهل الضلالة ، وكل رام رام النجم في الأفق  
قراماه ، وكل همام هم بالخطب النازل فتحاماه ، وكل مقدم قرنه  
دام ، وكل ضرغام صريعته في رغام . وكل قمقام ضارب  
بصمصام ، وكل حام شارب بكأس حمام ، وكل زمر  
مشيح ، لذار الكفر مبيح ، ولروح الجد مريح ، ولذماء المزاح  
مزيج ، وكل فاتك لحبل الوريد باتك ، ولستر الحياة هاتك ، ولدم  
العداة سافك ، وكل شجاع الى الموت داع ، والى المجد  
ساع ، وللإسلام راع ، وللأشراك ناع ، وكل فارس للفوارس  
فارس ، وللذوابل في النور غارس ، وفي اليوم العابس غير  
ناج ، وكل راجل لقهر العدو راج ، وبسر البأس مناج ، ومن شر  
الناس بشجاعته ناج ، وبباغت المذون لمن يلاقيه شاج ، وكل عتال  
عات ، ونجار ونشار ونحات ، وحداد وقين وكل زائر للعدى بحين .  
فاجتمعوا وزحفوا . وجفوا على القوم ورجفوا وأصموا وصمموا .  
وأوقدوا نارا واضرموا . وأطاروا من اعشاش الأقواس الى أوكار  
الأحداق أفرأخا . واستصرخوا الأقدار لأقدارهم فحببتهم حين  
أحببتهم اصراخا . وغظوا على الرقاب الغلاظ بالرقاق . وأولوا  
الشقاء لأولى الشقاق . وتساعدوا وتناصروا وتطاولوا وماتقاصروا  
ومافيهم الا من أبان عن جد . وأبان بجد . والآن الشسيد . وأعان

السيد . وأفلح فقلح الحديد بالحديد . أوجد الحديد ومد المديد  
وصور مرتجة أبوابها . مرتجة أبوابها . مفتصة جوانبها . ومرتصة  
عصائبها . مشدونة أبراجها مسجونة أعلاجهما محصورة كلابها .  
مدسورة ذئابها مدشورة ثعالبها مدشوبة كتائبها . والمركيس بها  
متجهم . وأبليس عليه متحكم . وقد سقط في يده . وسخط لبلده .  
وارتبط بجلده واختلط بكمده . وغلت مـراجـل غلوائه وعدت غوائل  
عدوانه . وطاش وجاش وأوخش الأوباش والأوخاش ( ٢ ) .  
وتوشح بالشر وتودش . وترشح للردى وتحرش . واشتعل بجمره .  
وبعل بأمره وضرى بضره . وجال بوجهه في مكر مكره . وكر في وكـره  
وعشا عشه . وثبت على لجاجه . ونبت في اجاجه . وتعسر وتسعر .  
وتربص وتصبر . والسلطان مصيب حكمه . صائب سهمه . ماض  
عزمه . قاض حزمه بار حده . ساطع سنى ايناسه . قد اتسقت  
اسبابه . واتسعت رجا به . واجتمع اصحابه . فازتحم على بابـه  
ودول قبا به كل مبارز بار . وكل ضارب ضار . وكل حجار جار .  
وكل رامح ورام . وكل حامل سلاح وحام . وكل سائف حائف . وكل  
عاصف قاصف وكل أكل للحرب شارب . وكل طالع بالضرب غارب .  
وكل هاجم هائج . وكل راجم رائج . وكل معتقل متقلد . وكل مجرب  
مجرد . وكل ذكر مذكور . وكل غضنفر مشكور . وكل ليث ملاث .  
وكل غيث غياث . وكل سفاك لدم الكفر سفاح . وكل جراد لسيف  
الفتك جراح وكل مكنتم في درعه . مكتمن في نقهه . ملتئم بزغفه . مثلم  
بحرفه . مقنع بلامه . مافع بقتامه . سايح في بحر الموت بسابحة .  
سامع في الصباح صوت صائحه . فجمع اليه أمراءه . واستحضر  
عظماء ملكه وكبراءه . وقالوا هذا بلد حصين . ومكانه من الارض  
مكين . في البحر ثلاثة ارباعه . وفي السماء ارتفاع بقاعه . وطريقه  
الذي يسلك من البر اليه . قد احاط به البحر من جانبيه . وقد قطعوا  
بخندق في عرضه . وعمقوا ونزلوا في أرضه . وكان من احكام  
الحزم . واتمام العزم . تكميل الآلات وتتميمها ، وتحصيل  
المنجنيقات وتقييمها . وتركيب الأبراج والدبابات وتأليفها . وتقريب  
الجفاتي وتصنيفها ، وتسوية مناصب المجانيق وتسقيفها ، وتنحية  
أثقال العسكر وتخفيفها ، وتنحية نخب الرجال

وتصريفها ، وتسنية الاسباب ، وتهيئة الأخشاب ، واستحضار كل مايراد للحصار ، واستنفار كل من يرام من الأنصار ، فاذا حضرت هذه الأشياء والأشياء ، وتيسرت وتوفرت الأصول والاتباع ، رحب الذرع في الحصر والمضايقة وطال الباع ، واذا حالت الاحوال وضاعت الأوضاع ، واختل واعتل النزال والنزاع ، وأمر السلطان بإزاحة العلل ، وإزالة الخلل ، وشغل الصناع بالعمل . ونقل الأمل الى طريق الأجل . وتقدم بقطع أشجار الغياض . وحمل مايتلك النواحي من الانقاض ، فاجتمع هناك كل آلة وآلة ، وذباب وذبالة ، وقضيب ومقضب ، ومجرب ومحرب ، وسم وشهم وشهب ودهم وأحمال ، وأثقال ، ونظمت الستائر من القضيبي ، وصفت من سور سور وبالمكان القريب ، وكمنت من ورائها الكمأة ، واستترت بالجفاتي قدامها الرماة ، واشتغل كل صانع بصنعه ، وكل جامع بجمعه ، وكل دافع مانع بمنعه ودفعه ، فمن جان بمنجنيق ، ودان الى نيق ، وداب بدبابة ، وذاب بذبابة ، ونازع في حنيه ، وناز بمنيه ، وقاذف بشراره ، وحاذف بحجاره ، وهاتك من ستاره ، وفاتك بجساره ، وجاذب في حبال ، وجالب لوبال ، ومرو في قلع ومسو لمقلع ، ومدبر بايجاف ومدمر بايجاع . ولم تزل المنجنيقات ترمي ، والحجارات تدمر وتدمي ، والدبابات تطير من أوكارها عقبان الجروح ، واطباق البرج تبني وتغطي بالسلوخ ، حتى امتد الزمان ، واشتد الحران ، وضاق الحصر واعتاق النصر ، وكان العسكر قد الف تيسر الفتح ، وتسرع النجاح . فصعب عليه حين صعب ، وتبع هواه لما تعب ، ولم يألف الناس الا ارواء ظمأهم بنهله والحصول على اكساب سهله ، وفتسح مايقصدونه من البلاد بغير مهله ، فلما توقف هذا الفتح توقفوا ، وملوا وضجروا وتأففوا والسلطان مع ذلك يزداد في حده وجده ، وفي شده شدة ، وفي جده جدة ، يثبتهم بحثه ويحثهم على الثبات ، ويقويههم بجوده ويوجدتهم القوات ، ويقول ان الله أمر بالمصابرة . ولا مصابرة الا بالمثابرة . فاصبروا تفلحوا وصابروا تفتحوا .

## ذكر ماتم على الاسطول

وكان السلطان قد نفذ من صور ، واحضر اليها من عكا ماكان  
بها من مراكب الاسطول المنصور ، فوصلت منها عشر شوان ، على  
العدى جوان وللردى لهم جوان ، فعمرها بالرجال ، وجهزها للقتال  
واتصلت بها مراكب لنا من بيروت وجبيل ، فاستشعر المركيس  
واشياعه منها الويل ، وعمروا لهم مراكب ، ورفعوا بها  
مناكب ، وسفننا بالساحل عندنا مربوطة ، وبحفظنا مضبوطة  
محوطة ، ودامت تدب عقاربها ، وتذب سواريتها ، وتجري سواريتها  
وتسري جواريتها ، وتطير للقنص بزاتها ، وتغير للفرس  
عزاتها ، وتكسر بكواسرها ، وتدور بدوائرها ، وتلاطم الامواح  
بأمواجها ، وتزاحم الأثباج بأثباجها ، وترفع شرع الهداة  
بشراعها ، وتقلع عرش الغواه باقلاعها ، وتقنص على شياطين  
الكفر شهبها ، وترفض بشأبيب الذعر سحبها ، فكانها الاساود  
والسود ، وركبتها الاسود ، من كل افعان يحمله  
افعان ، وشجاع امتطته شجعان ، وغراب بشتات العدى  
ناعق ، وسحاب بوميض الهدى بارق ، فيالها من اغربة دارت  
بعقبان . وأجنحة طارت بظلمان . ورواس سوار ، وغواز  
بغوار ، وقد ملئت برماة الحدق وحماة الحلق ، وزراقى النار  
وطراقى النار ، والخاطفين بالخطاطيف . والقاذفين بالمقانيف  
والكالمين بالكلايب . والسالبيين بالاساليب والحاربيين بالحاريب  
والراجمين بالرجام ، والمعلمين على الاعلام فاندشت مرائر الفرنج  
وازاحت سفنها عن النهج وقرنصت بزاة البيزانية . وتقلصت جناة  
الجنوية ، وكثرت ادواء الداوية . وكثرت اسواء الاسبتارية . وزادت  
الام الألمانية ، وعادت أسقام الافرنسيسية . وصارت مراكبهم في المينا  
لاتيين ، وشدتهم بشد شوانينا تكاد تلين . وقد ربطوا عندهم السفن  
فلو خرجت كانت جبالا تسفن . وأنس اصحابنا بعلو  
الامر ، وخلوا البحر . وأمدوا من الخوف ، وأمدوا على الطوف . ودام



واصبحت قلوبهم بما جرى على انظارهم مروعه . فتواقعوا الى الماء . وخافوا على دمائهم في الدماء ( ٥ ) . وخرجوا الى البر على وجوههم . وخافوا مكروهم في مكروهم . وفروا وفاروا . وطاروا وثاروا . ولم يلفت احد منهم لبتا . ولم يزدهم دعاؤهم الى التجمع الا تشيتا . فظهر بهذه الذوبة الواقعة . والذبوة الرائعة . ان نواب مصر لم يجر منهم بالاسطول احتفال . ولم يرتب فيه على ما يراد رجال . وانما حشدوا اليها مجمعة مجهولة غير عارفة ولا معروفة . ومستضعفة غير آفة ولا مألوفة . فلا جرم لما شاهدوا الروع ارتاعوا . ولما الزموا بالطاعة ما استطاعوا . وكان في جملة شوانينا قطعة يتولاها رئيس جبيل . وفيها بحرية من ذوي التجربة والتجري والتجربة ما لها حين ولا ميل . فطال بأسلحة الدفاع . وطار بأجنحة الشراع . وفاز بالسبق وفات . وهيئات ان يدرك هيئات . فنجا النجباء . وآب بهم الالباء . فبقيت المراكب الباقية . وقد اخلاها حماتها الواقية . فرفعناها الى البر . ورأينا الصحة منها في الكسر . وفرغنا من شغل المراكب في البحر . وهذا والمنجنقيات ترميهم . والمدفوقات الموفقات تعميهم وتصميهم . والقتال قائم . والنزال دائم . والصخور تفلق . والصدور تقلق . والاحجار تقلقل . والاسوار تحلحل . والاطوار تضعضع ، والابراج القيام تسجد وتركع . والاصلاذ تقدح . والاجلاذ تقرح . والالواح تصدع . والارواح بين أكفاء الكفاح مقسومة . والقروح بها قوارح القوارع موسومة . والحنايا واترة موترة . والمنايا مأثورة مؤثرة . وظعائن الضغائن تحدي بصليل البواتر . وصهيل الضوامر . وحقوق الحقود تقتضي بالأسنة الاسنة . وعنت الاعنة من الغريم الكافر . والاوداج شاخبة كالعيون البواكي . والابشار دامية من الزنديركات والناوكات النواكي . وهناك العقل معزول بالتهور . والرأي مشغول عن التدبير . والعلم والحلم خالطهما الجهل والسفاه والجرحي يبتدىء بيسم الله . والمنجنقي يختم بلا اله الا الله . والزراق بالنار يطيب القاروره . ويحرق الساقورة . والسباق الى المضمار يساور السور ويباشر الباشورة .

## ذكر خروج الفرنج للقتال

ولما عثر الفرنج على تلك العثرة . فظنوا فينا الفتور لأجل تلك  
الفترة . وقالوا مراكبهم انحل تركيبها . وكتائبهم اختل  
ترتيبها . وستجرى بها عنا الندامة التي يحدثها تجريبيها . وهم  
الآن على صوت لهم مخيف . وفوت بهم مطيف . فلا معنى لتقاعدنا  
عنهم . ولا وجه لتباعنا منهم . فلوخرجنا صدمناهم . وأقدمنا  
عليهم وهزمناهم . وخرجوا يوماً قبل العصر . في عدة كالليل  
خارجة عن الحصر . قد التأموا واستلاموا وانضموا والتظموا  
وتقدموا . وأقدموا للطوارق حاملين . وللجمالات مطرقين . وعلى  
الفرق مجتمعين . وللجماعات مفرقين . وبالرهق جاين . وبالجد  
مرهقين . وللعقود حالين . ومن الغمود سالين . وللمناصل  
منتصبين . وللطوائل مقتضين . وللسيوف مجربين . وللسيول  
مجربين ، وبالزغف ملتئمين . وفي الحذف مقتحمين . وبالاقنطاريات  
طائرين . وبالزيارات زائرين . من كل مغوار وار . ومحضار  
ضار . وفجار جار . وجبار بار . وعدو عنود . وكند  
كنود . وداوي ذي دوي . وباروني غوي . ومن كل مصمم اذا  
وتر . مصم اذا وتر . مصم اذا نعر . مصر اذا نعر . هائج اذا  
استعر . مائج اذا نخر . متنمر اذا زار . متذمر اذا  
زجر . فتناوبوا وتواثبوا . وتجاولوا وتجاوبوا . وبنوا من متارس  
المنجنقيات . وحنوا من مغارس الجنويات . وبنوا امرهم على ان  
الناس ناسون غارون . وان اهل البأس في خيمهم هاجعون  
قارون . فتلقاهم منا كل ضارب للهام . ضار بالحمام . وجار الى  
الأقدام . ملب للصوت . محب للموت . مشتهر باغناء . مشته  
اللقاء . مستهتر بالبلاء . ماض بالدواضي . متفاض بالقواضب  
القواضي . وكل ابيض بالبيض ضراب والبيض رضاض . واغلب  
المغلب قضاقاض والى الحرب نهاض . وكل معتقل رماحه . معتقد  
مرحه . معتقد مزاحه . مهتز لطرب الشهادة . معتز بأرب

السعانة . متمن للمنون . متجن على الحنون . مضم نار الحديد في  
ماء الوريد . مفرم في تفريق العدى بجمع العيد . مفرغ ماء الطباء  
على نار النجيع . مبلغ تلبية الهدى الى الصريخ السريع . قد تلثم  
باللام . وتلفع بالثام . وتقنع بالزرد . وتدرع بالجلد . وتجوشن  
بالصبر . وتخشن بالزبر . وصال بالقضب . وجال بالهضب . وطل  
بالهندي على الفرنجي . وخاض من دم الشرك في البحرالجي . فلم  
يسمع الا انين الحنية . لحنين المنية . ورنين الأوتار . من كنين  
الأوتار . وهفيف السهام . لذفيف اللهام . وصليل بنات  
الغمود . من غليل ابناء الحقود . وهمهمة الابطال . وغمغمة  
الأقيال . وزئير الضرغام . وزفير الضرام . وقـرع الطبـبا  
بالطبـبا . ووقع الشبا على الشبا . وضجة الحديد من  
الحديد . وعجة الشبيد . وجعجة رحي الحرب . وقعقة اداة  
الطعن . والضرب . وجرجرة الفحول . وزمجرة النحول . وهديل  
حمام الحمام . وهدير قـروم الايدام . ووعوة ذئاب  
الوغى . ومعمعة التهاب اللظى . ودعدعة صاع المصاع . وجلجلة  
سباع القراع . وصلصلة الزير . وولولة الزمر . وحيعة دعاة  
النصر . وهيضلة رعاة الكفر . ورفرفة المريشات  
الراشقة . وهسهسة الطعنات الفاهقة . وهزهزة اعطاف  
المران . وزهزهة اصوات الشجعان . ونعير الغالبيين . وصخب  
السالبيين . ولجب الجالبيين . وزحير الطالبيين . ونهيت ( ٦ )  
الاسود . وقصيف الرعود . وهدة الأركان . وهدهدة  
الرعان . وقهقهة الأقران . وقرقرة كوم البكاء . وصرصرة بزاة  
الغزاة . وكشيش صلاص الضلال . ونشيش مـراجـل  
الرجال . وهزيز ريح الياس . وهزيم رعد المراس . وارنان  
المعاجس . وارزام القناعس . وهيعة الصارخ . وصيحة  
النافخ . وزعقة المستفزع . ونعقة المستنزع . وشعشة  
الخرصان . وزهزمة النيزان . وهينمة الاجل . وجمجمة الزجل  
وتكبير المؤمنين . وتهليل المؤمنين . وصرير ابواب الجنان  
للشهداء . وصرير انياب الجنان للاعداء . والدعاء الى  
اللقاء . والنداء الى الارداء . وارتفعت الاصوات . واشتبهت

الاحياء والاموات . ووقع اصحابنا فيهم وقوع النار في  
الحطب . واروهم في مـرايا البيض وجـوه العطب . وولوا  
مدبرين . بعد ماتولوا مدبرين وجنودنا تشلهم . وجدونا  
تفلهم . ولتوتنا ترضهم . وليوثنا تفضهم . وعادوا الى  
البلد . عادمي الجلد . وفيهم ندوب وعليهم نوادب . وايدي الردي  
بهم لواعب ومنهم لواغب . ويدخل الليل . وعمهم الويل . واسرنا  
منهم مقدمين . ثبتوا على الموت مقدمين ، ومن اسر فخر قومص  
عظيم . بل شيطان رجيم ، فترك في قيد اسار ، ليكشف عن حاله  
بالنهار . وكان الملك الظاهر غازي . لم يحضر فيما تقدم من  
المغازي . فرأى ان يحرق اسمه بقتله . فحضر عنقه بحد  
نصله . وكان للمركيس شبيها وفي الفرنج وجيها . فظنوا انه هو  
للشبه . وبات اهل الكفر بالعمى والعمه . ثم عرف ان المركيس في  
نفسه لم يذكأ ولم يذكب . ولما عطب اشياعه لم يعطب . وندم على  
ماقدم . ومن تقدم على غرة تندم .

## ذكر مادبروه من الرأي ورأوه من التدبير

ولما امتنع البلد . وارتدع الجلد . وارتجج العدو ولج . ضجر  
العسكر وضج . واجتمع امراء . يحبون الافلات . ولا يكرهون  
الفوات . وقالوا مطاولة ما نقصر عنه تتعب . ومزاولة مالايزول  
تصعب . ومحاولة الممتنع محال . ومطال غريم هذا الفتج  
مطال . وما يتسع لنا في هذه الحلبة الضيقة مجال . وهذا السلطان  
جلد على المصابرة . مجد في المكابرة . لا يكثرث بالكارث . ولا يذخل  
سمعه حديث الحادث . ولا يبالي بمن بلى ، ولا يفكر فيمن ولي أو  
ولى ، ولا راحة له الا في التعب ، ولا يعلم له نصيب سلامة الا من  
النصب ، وكل ما جرى الى اليوم منا ومن القوم لم يرعه ولم  
يردعه ، وقد قيل اذا لم تستطع شيئا ، فدعه ، فكيف السبيل الى



## ذكر فتح حصن هونين

وورد الخبر عن هونين انها هانت . و بنا امرها ودانت . وان طريق فتحها بانث . وانها عنث فان الطاف الله اعانت . وانها بذلت ماصانت . ولم تبق للكفر على ماكانت وان شدتها لانث . وكان السلطان قد وكل بها بعض امرائه . وامده بمددي جنده وعطائه . فلبث الى هذه الغاية . يصبها بسهام الزكايه حتى طلب اهلها الامان على الوفاء بما يشترطون . ويشطون منها ولايشطون ، فاول ماقالوا امهلونا حتى نعلم مايكون من صور . ونكتشف هذه الامور ، فان اخذتموها اخذتم هذه . وشفعنا امر السلطان بذفانه . وان خليتموها فياهوان هونين . ونحن نجعل على هذا عدة من الاصحاب مرهونين ، فندب السلطان بدر النين بلدردم الياروقي وهو من اكابر عظمائه ، واکارم امرائه ، وامره باستنزالهم واستزلالهم ، والامان لذسائهم ورجالهم ، فمضى ورجبهم في الامن والسلامة ، وخوفهم عقبي الحسرة والندامة ، وقال لهم انتم بين حصنين هما تبنين وبانياس ، وماذا تصنعون اذا خاب رجاؤكم وبان الياس ، وانا ابیتم التسليم عدتم سلامتكم ، واقتمت قیامتكم . واستباحكم السلطان واستباكم . وكرهكم واباكم . وحل بالقتل حباكم . وقل شباكم . فما زال يرغب ويرهب حتى رغبا ورهبوا . واخذوا الامان على ان يذهبوا . ووصل الخبر الى السلطان وهو على محاصرة صور مقيم . ولقاتله اهلها مستنيم . والى ما عند الله من نصره مستنيم . وتسلمت هونين بما فيها من عدة ونخيرة . وقوة وميرة . والات وادوات كثيرة . وتسلمها بيرم اخو صاحب بانياس . واستشعر الفرنج منها الياس . وكانت قد بقيت من الحصون التي تعذر فتحها . وبرج بالقلوب برحها من عمل صيدا: قلعة ابي الحسن . وشقيف ارنون . ومن عمل طبرية والغور: صدف . وكوكب . وهما من احكم الحصون وقد وكل بهما اميرين . من خواصه كبيرين . وقد ضيقا على من بهما من العلوج . ومنعا من

الدخول والخروج . واقام السلطان على صور محاصرا . والدين الحنيف ناصرا . وليد الشرك بمطاولته قاصرا . يقاتلها بكل سلاح . ويقابلها بكل كفاح . حتى كادت تستكين . وشدتها تلين وابيتها تلين وسريها يبين . وكان قد دخل كاذون . وظهر من سر الشتاء المكذون . ووقبض البرد الايدي عن الانبساط . واعدم الهمم دواعي النشاط . وعادت العزائم المتوهجة تبرد . والصرائم المتأججة تخدم . والنخوات المتحركة تجمد . والحميات المتيقظة ترقد . والضرام المحتدم يخبو . والحسام المخدم يذبو . والطباع تتكره . والسباع تتأوه . ومناوبة القتال تختل . ومعاقبة النزال تنحل . فلحاهم السلطان على ملاح . وعرفهم ان في الصبر الفلاح . وامرهم بالمقام والاستقامة على الامر . وانه لاظفر الا مع الصبر . وان الظلم تنجلي عند تجلي الفجر . وكان في الأمراء جماعة منتجون منتخون . أبت أمانتهم في حمية الدين أن تخون مقيمون على الكريهة ولاكراهة منهم للمقام . ويحبون ان تقام وظيفة الانتقام ويؤثرون بانفسهم في طاعة اله وموافقة السلطان . وعصيان الشيطان في مفارقة المكان . فاذا ارجف بالرحيل رجفوا . وسخفوا رأي المشير به وضعفوا . واضطربوا واضطرموا وتذمموا وتلوموا . وقالوا كيف نترك ماحويناه . ونعوج ماسويناه . ونذر كفرا طويناه ونهجر خيرا نويناه . ونداوي توحيدا شفينا . ونشفي اشراكا ادويناه . وماللراحة اليوم طالب . الا وهو غدا بالتعب مطلوب . ومن امسى وهو الآن غالب . يوشك اذا ولى ان يصبح وهو مغلوب . وهذه صورة صور قد تشوهت . وموارد قوتها شففت . واذا تخلينا عنها واخليناها ترففت واستفهرت . واذا حلمنا عنها سففت . وهبت من غشية خشيتها وتنبهت . وتارك المصابرة مصاب . والاخذ بالمثابرة مثاب . فمنهم الامير طمان بن غازي مااطمان يوما في الفزولاسكن . وعز الدين جريك النوري كم جرد على اعناق المشركين سيفه الذي به تمكن . وهما همaman مقدمان مقدمان . من عادتهما الوثبات على ثبات العداة يرومان الثبات ولايريمان . وجماعة اخر بهما يتشبهون . وبالكريهة لايتكروهون . واما الباقر فانهم احبوا البقاء . وابغضوا اللقاء . واتقوا الاتقاء . وابوا الا اليباء . وقالوا قد

لغبنا . وما بلغنا . وجرحنا ، ومارجنا . فلورحنا استرحنا . ثم  
عجنا ورجعنا . ومانحن باول واضح للاصر . راجع عن الحصر .  
معتف للعقل . مستعف من الثقل عامل بمحض الحزم . عالم بوقت  
العزم . هذا وقد علم ماعرا من ضروب الكروب . وثلث ما برى من  
غروب الحروب . وبقدر ما هدم من مباني البلد هدم اكثر منه مباني  
الجلد . فقال السلطان بل نجد في القتال اياما . ونقدم بأسا واقداما .  
ونزحف بجميع رجالنا . ونصدقهم في نزالنا . وذاقتهم من جميع  
النواحي . فان تعذر لاح العذر للاحي . واصبح العسكر وقد  
استعد . وامتد قبالة البلد من البحر الى البحر والنصر استمد .  
وركب الامراء باجنادهم ووقفوا . واثر لهم ورق الحديد الاخضر  
فقطفوا . وتناوبوا في الزحف . وتعاقبوا على الحدف . وكلما ترجلت  
طائفة قاتلت ثم رجعت . وجاءت الطائفة الاخرى فصدقت وقرعت .  
وصارعت وصرعت . فلم يراشد من ذلك اليوم . في وقم القوم .  
واجترأ اصحابنا . وراض جماحهم اصحابنا . وخاضت خيلنا في  
البحر خلف منهيهم . واقدم من احجم منا لاحجام مقدميهم .  
فحينئذ طارت للحين من السهام زنابيرها . واسعرت الحرب بضرام  
الضراب مساعيرها . وامتلات السعير بقتلاهم وقالت هل من  
مزيد . وفتحت الجنة لمن باع نفسه بها فقالت هل من شهيد .  
وانقضى ذلك اليوم وقد كلت الاسلحة . وملت الاجنحة . وانهاضت  
قوادم الانهاض . وانفضت الجموع من اقواء القوى والانقاض .  
وبات الناس على ضجر وضجاج . ولجب ولجاج . فلو عاوبنا البلد  
بمثل ذلك اليوم اياما . لذنا من فتحة مراما لكنهم اصبحوا على سأم .  
والموا بابداء الم . وقالوا: قلت كثرتنا . فلو اقيلت عثرتنا لانجبرت  
كسرتنا . وفينا الجريح والطيح . وحتى متى لانستريح . وقد توات  
الامطار فلامطار . وعلينا هذا الحصار صار . وكانت الجراحات  
كثيرة . والاحتياجات بها مشيرة . ومنع البرد من العمل . وامتنع سد  
الخلّة وتسديد الخلال . وما زالوا يرسلون السلطان ويشيرون  
بالرحيل . ويقولون لاتتعب على تحصيل المستحيل . ولاتذهب الايام  
في ابرام المستحيل . ودعنا نستجد دعه . وذاسترد قوى عند لطف الله  
مودعه . وذاستغل بفتح الايسر وهو اكثر . وذاوخر التشاغل بما لعله

يتعسر . وكان السلطان في تلك المدة . انفق اموالا كثيرة على تلك الالة والعدة . وما يمكن نقلها . ولا يمكن من نقلها ثقلها . ولو ابقاها لقوي بها الكفر . واشتغل بسببها الفكر . فرأى نقضها . وفك بعضها . واحرق منها ما تعذر حملها . وشئت بعد التجمع شملها . وحمل بعضها الى صيدا وبعضها الى عكا . وجزت اعاجيب ما تكاد تحكى . وسر ذلك الرحيل قوما وساء قوما فأضحك وابكى . وتأخر السلطان وتباعد عن قرب صور الى المنزلة الاولى ويده على جميع الاحوال طولي . فشرع العسكر في الانصراف . وتزود للانكفاء والانكفاف . واخذ الجمع في الافتراق . وانتشر في الافاق . ونهب من نهب على مواعدة في المعاودة . ومسارة في الرجوع الى المساعدة . وودع الملك المظفر تقي الدين من هناك . واوعد بوعده عوده الاشارك . وسار على طريق هونين الى دمشق مغزا . وسارت معه عساكر الموصل وسنجار وبيار بكر ، وكل طير منهم اشتاق الى وكره . وما عرفوا ان هذه الراحة القليلة تعقبهم تعباً كثيراً . وان هذا الهدو الذي مالوا اليه يصير لحديث حركتهم مثيرا . وبقي السلطان يتلهف على ما تركه . ويتأسف على الفتح الذي ما دركه . والنين اشاروا بهذا الرأي يسهلون الصعب . ويهونون الخطب . ويقولون نمضي ونعود . وتساعدنا السعود . وتنجدنا الجنود . وتتجدد الجدود . ويورق العود . وتصدق الوعود . واذا اقبل الربيع . اقبل الجميع . وطلب الزمان . ووفى الضمان . وامكن الاسعاد وساعد الامكان . وما زالوا بنا حتى رحلنا . وعلى الرأي الرائب منهم احلنا . ولو اقمنا لقمنا . وقمنا العدو ووقمنا . لكن الله قدر وقدره محتوم . وسر غيبه المكتوب في اللوح المحفوظ مكتوم . واراد ولا مرد لمراه . وقضى ولا محيد لما قضاه في عبادته . وان تبقى صور في تلك الحالة للكفر وكرا . وللمكر مكر . وللشرك شركا . ولنار جهنم دركا . وقدمنا عن صور الارتحال . آخر شوال . غرة كانون الثاني وعم البرد في القاصي والداني . وتوحدت السماء من حوامل السحاب . وتوحدت الارض من سوائل المذاب . والنكب الرياح عواصف عواصف . قواصم قواصف . والسحب الدلاح ( ٧ ) هوامل هوامل رواعد رواعف . والبرد قارس . والماء جامد جامس .

والشتاء شتات بتات . وما مع مقامه وثباته مقام وثبات . وسرنا  
عبايد في لبايد . وبين جليد وجمليد . على الناقورة وطريقها .  
والاثقال قد ازحمت في مضيقها . والاحمال تتواقع . والاجمال  
تتقاطع . والسبل تنسد . والسابلة تترد . وسالكت الخيل الجبل .  
وقطع العسكر طريقه الى المخيم ووصل . وتأخر الثقل . الى ان  
تخلص . وتقدم من سبق وتملص . ووصلنا الى عكا في ثلاث  
مراحل . وقد غطى بحر عسكرنا الساحل . وخيم السلطان على باب  
البلد بجانب التل . نامي الفضل . دائم الفكر في تدبير الأمر وتدمير  
الكفر . واثقا من الله بانجاز النصر

## ذكر الحادثة التي تمت على محمود أخي جاولي حتى استشهد هو وأصحابه

ويوم رحيلنا من صور نعي محمود أخو جاولي . وكان من جملة  
الامراء اعف ولي ولي . وعاش مجاهدا زاهدا وعيشه زهيد . وقضي  
صابرا مصابرا وهو سعيد شهيد . وسبب ذلك ان السلطان لعلمه  
بديانته وأمانته . وبأسه وبسالته . ويقظته ونهضته وحزامته . وكله  
بحصن كوكب الذي على الغور . وكانت فيها جمره الاسبتارية  
القريبة الجور البعيدة الغور . وقد تمنعوا بشدتهم . واشتدوا  
بمنعتهم . وهو حصن لايرام . وركن لايضام . ومعقل لايسامى  
ولايسام . وذروة لاتفرع . ومروة لاتقرع . وعقيلة لاتفترع . وبكر  
لاتخطب . وقلعة لاتطلب . ولما ملك الساحل . وهلك الباطل . ونظمت  
الحصون في سلك الحصول . وظفر الاسلام بالفتح المأمون  
والمأمول . وافتتحت طبرية وأعمالها . وتملكت أغوار تلك البلاد  
وجبالها . تمنعت قلعتا صدف بالداوية . وكوكب بالاسبتارية . وتعذر  
فتحهما . وتعسر منحهما . وقف أمرهما . وأعدى البلاد ضرهما .  
فرتب على صدف جماعة يعرفون بالناصرية . من أهل الايبة والنخوة  
والحمية . ومقدمهم مسعود الصلتي أصلت سعادته منه سيفا

إصليتا . لايفت عن لقاء العدو ليتا . ورتب على كوكب هذا محمودا . وكان بهما أمر الحفظ محمودا . وذلك بعد الكسرة . وصحة النصر . فأحاطا بالحصنين واحتاطا . وظهرت كفاية كليهما بما تعاطى . وكان الحفظ مستمرا . والاحتياط مستقرا . حتى أذس محمود بضعف أهل الحصن . وظن أنهم في غاية الوهن . وسكن إلى سكونهم . وأغمضت عينه لتوهم إغماض عيونهم . واسترسل فيما حذب . واستسهل ما صعّب . وأخل بالحزم . وخلا من العزم . واحتقر عدوه . وحسب من العجز هدوه . وكان مقامه بحصن قريب من كوكب يقال له عفر بلا . وقد أقام به جاما جامعا فيه ما أمر وحلا . وكان ذا بين متين . ومكان من النسك مكين . وهو يسهر أكثر ليله متهجدا . وقد جعل منزله مسجدا . وأصحابه من حوله . يحفظونه بقوة الله وحوله . فلما كان آخر ليلة من شوال . وهي ليلة ذات أهوال . مظلمة مدلهمة كافرة مكفهرة . ليلاء قتماء . باردة مقشعرة . أنوارها بائئة . وأنوارها جائئة . وهزيع جناحها دجوجي . وهزيم ودقها لحي . وسحبها سحم . وأقطارها دهم . وصبيرها صيب . وصنبرها مثير . لايفرق فيها السماء من الأرض . ظلمات بعضها فوق بعض . خرج أهل كوكب وقت السحر . والناس رقود والحراس هجود . والجنود جمود . والانفاس خمود . والهمم ركود . والسيوف اسرار . أضمرتها الغمود . والعدم قد بنا منه الوجود . فما أحس محمود المحمود . وأصحابه الهمود الا بالفرنج وقد سلخوا اليهم . وبركوا عليهم . فقصروا عن الامتناع . ولم يقدروا على الدفاع . فجاءتهم السعادة . وفجأتهم الشهادة . وبقي الامير حتى استشهد محصورا . وكان أمر الله قدرا مقدورا . ونقلوا الى القلعة ما وجدوه من سلاح ومتاع . وخيل وكراع . فلما عرف السلطان ما أصابهم . احتسب عند الله مصابهم . وأحمد الى الجنة مأبهم . فندب الى كوكب صارم اللين قايماز النجمي الصارم المخدم . والحازم المقدم والعضب البتار . والندب المغوار . والأسد الاسد . والأحمى الأحمد . في خمسمائة فارس من ذوي النجدة . والبأس والشدة . فسد الطريق بمضايقتها عنها . ومنع من الدخول اليها والخروج منها . ولم يزل

عليها مقيما . ولحصرها مستديما . إلى أن يسر الله فتحها . وسهل  
للأمال فيها نجاحها . وسنذكر ذلك في موضعه . وكيف أشرق صبح  
النصر من مطلعته .

## ذكر ما جرى بعد نزول السلطان على عكا بعد عوده من صور

استأنن الملك الظاهر والده في العود إلى حلب فأنن له وودعه . بعدما  
أمره بكل ما يجب تقديمه من الاستعداد فامتثله واتبعه . وودع الملك  
العدل وأوجه إلى مصر . مستقبلا الظفر والنصر . وأقام الملك  
الأفضل بعكا مستقلا بالأراء . ومستهدا بالألاء . مستبدا بتدبير  
أسباب الهدى . مستعدا لتدمير أحزاب العدى . وأقمنا بالمخيم  
لخدمة السلطان ملازمين . ولإقامة شرائطها مداومين . وكل يطلب  
أننا في الانصراف . ويستقيم على نهج الانحراف . حتى خف من  
عندنا من الجند . وذهل علينا عبء البرد وتناوحت الهوج . وتراوحت  
الذلوج . ورجت الدروج . ونجت الذؤوج . وارتجز عجاج  
الودق . ( ٨ ) وارتجس نجاح البرق . وجفت الحرجف . وطفح  
الأوطف . وتقطعت الخيام وتقلعت الأوتاد . وتجللت بإبراد الجليد  
من البرد الآكام والوهاد . ومال بل وقع عمود السرادق . ودام  
تواصل البوارح والبوارق . وبخل السلطان إلى المدينة . وسكن بها  
في كنف السكينة . مستقيما على المحجة المستيبينة . مقيما للحجة  
المتينة . وشرع في إعداد العدد . واستمداد المدد . وإبرام معاهد الحل  
والعقد . واحكام قواعد الدين والمجد . واحياء سنة السماح  
والفضل . واعلاء سناء الاحسان والعدل . وافساة الكرام واكرام  
الوقود . واعادة ما بدأ به من افاضة الجود . واجازة الراجين .  
واجارة اللاجين . واسعاف العافين . وابعاد العالين . وانباء أهل  
العلم . واغناء ذوي العدم . وانجاح المقاصد . وانجاز المواعد .

## ذكر رسل وردوا في هذا التاريخ

وكانت رسل أفاق من: الروم، وخراسان، والعراق . عاكفين على بابه .  
قاطفين جني جنابه . واقفين لرفع حجابيه . مستسعين لنعمائه .  
مستعطفين لابائه . متعرضين لثوابه . متضرعين في خطابه .  
وكلهم يهنئه بما أفرده الله بفضيلته . وخصه بنجح وسيلته .

وأقدره عليه وقد عجز عنه الملوك . وهداه الى سبيله وقد تعذر  
بهم اليه السلوك . وهو فتح القدس الذي درج على حسرته القرون  
الاولى . وتقاشرت عنه أيديهم المتطاوله وتمكنت منه يده الطولي .  
فما منهم إلا من يعترف بيمينه ويغترف من يمه . ويقر بحكم النزيل له  
وينزل على حكمه . ويخطب الصداقة في الصدق . ويحقق المظاهرة  
لاظهار الحق . ويتقرب بالوفاء والوفاق . ويتباعد عن الشقاء  
والشقاق . ومن جملتهم رسول صاحب الري قتلغ اينانج بن  
بهلوان . ورسول قزل ارسلان المستولي على ممالكهمذان،  
واندريجان، واران . وهو عز الدين الطالبي الطالب للعز . الراغب في  
الفوز . فما من يوم يمضي . وشهر ينقضي . الا ويصل منهم رسول .  
ويتصل به رسول . وتتجلى غمة . وتتجلى نعمة . وتتجه بشرى  
وتستبشر وجوه . ويكف مكر ويكفي مكروه . ونظر في احوال عكا  
فرتبها . وفي أمورها فهذبها . وفي مضارها فأذهبها . وفي منافعها  
فقربها . وولى عز الدين جرديك بها واليا . وأعاد عطلها بفضل ولده  
الملك الافضل حاليا . حاليا . ووقف بها وقوفا . واجنى المستحقين  
منها قطوفا . وأسدى معروفها . وأعطى الوفا . وأرغم من الاعداء  
أنوفا . وكانت فتوحه لهم حتوفا . ووقف نصف دار الاسبتار رباطا  
للمتصوفه . وللوافدين من أهل الطريقة والمعرفة . ونصفها مدرسة  
للمتفقهه . وللطلبة المتعفة المتنزهة . فجمع بين العلم والعمل .  
والنجاح والامل . وكتب الرزق لهم إلى كتاب الأجل . واتخذ لطلب  
مرضاة الله دار الاسقف بيمارستان المرضي . وأتى بكل ما يحبه الله

وبه يرضي . فلم يبق سنة الا خلدها . ولامنة الا قلدها . ولا اجرا  
الا اجراه . ولاهدى الا اهداه . ولا امرا الا امره . ولا دارا الا  
أدره . ولا فريضة الا أداها . ولا فضيلة الا اتاها . ولا فرصة  
صواب الا انتهزها . ولا حصة ثواب الا احرزها . ولا رمم فواضل الا  
انشرها ونشرها . ولا امم فضائل الا حشدها وحشرها . وماترك  
قارئاً الا قرأه . ولا راوياً الا اشبعه وأرواه . ولا حافظ حديث الا  
حفظه من الحدثن . ولا محسن صنعة الا اصطنعه بالاحسان .  
ولا ناظم مدائح . الا نظم له المنائح . ولا موافياً بقريض إلا وفي  
قروضه . وأعجز عن القيام بحملي حمده نهوضه . وتقدم إلى الوالي  
بالتردد في الاعمال . وتفقد الأحوال . وسد الخلة وتسديد الاختلال .  
وتعليل السقم وتسقيم المعتل . وتحليل العقد وتعقيد المنحل .  
فاستقرت بولايته الولاية . واستمرت لرعيته الرعاية . ودرت أفاريق  
الآفاق . ودارت أسواق الارزاق .

ذكر وصول أخي تاج الدين أبي بكر حامد من  
دار الخلافة إلى الرسالة في العتب على احداث ثقلت .  
وأحاديث نقلت . ووشايات أثرت وأرثت . وسعائيات في  
السلطان عثت . في الاحوال . وشعثت . وذلك في شوال .  
ونحن على حصار صور ونزاع ونزال .  
ذكر السبب في ذلك .

لما تم الفتح الاكبر . وخص وعم النجح الاظهر . وقطع دابر  
المشركين . وحط اقبال المسلمين أوزار إدبار الكفر بحطين . أمرني  
السلطان بإنشاء كتب البشائر إلى الآفاق . وتقديم البشرى به إلى  
العراق . فقلت هذا فتح كريم . ومنح من الله عظيم . وملك عظيم .  
وسمو وسيم . فلا يجب ان يكون مبشر دار الخلافة . بما انزله الله  
لنا من الرحمة والرفقة . الا من هو عندنا أجل وأجلى . وأعلم

وأعلى . وأجمع لفظون الفضائل . وأعرف بأداء الرسائل . فلا يوجه  
بهذه الكرامة الا الكريم الوجيه . ولا ينبه لهذه المقامة الا القويم  
النبيه . ولا يرفع العظيم الا بالعظيم الرفيع . فان الشريف يتضع  
شرفه بمقارنة الوضيع . فقال هذه نصرة مبتكرة بكرت . وموهبة  
ميسرة بدرت وندرت . فنحن نعجل بها بشيرا . وذوخر للاجلال كما  
ذكرت سفيرا . وكان في الخدمة شاب بغدادي من الاجناد . قد هاجر  
للاسترفاد . وتوجه بعد وصوله . ونبه بعد خموله . فسأل في  
البشارة الى بغداد . وزعم انه يداوم اليها الاغاذ . وشفع له جماعة  
من الاكابر حتى خص بأشرف البشائر . فقلت هذا لا يحصل له  
وقع . ولا يصل اليه نفع . والواجب ان يسير في هذا الخطير خطير .  
وفي هذه النصرة الكبرى كبير . فان الرسول من يندب للتفهيم  
والتفخيم . ويرتب في الامر العظيم للتعظيم . ثم سار المندوب .  
وشغلت عن ارسال سواه الفتوح والحروب . ولما فتح البيت المقدس  
أرسل ببشارته نجاب . ونفذ بها كتاب . ووصل البشير الجندي .  
فلم تجل به على كفوؤ الجلالة من الهدى الهدى . وحقروه . وما  
وقروه . فانه كان عندهم بعين فنظروه بتلك العين وحبوه بما يليق به  
من الرقة والعين . ونقم على السلطان ارسال مثله . وانه لم يعصب  
المنصب في تلك الرسالة باهله . وتسمح المندوب بكلام اخذ عليه .  
وبدرت منه أحاديث نسبت اليه . وقال في سكره . وحالة ذكره . ما  
يعرض عن ذكره . فخيّل وموه . وتذكر وتكره . وظن أن لكلامه  
أصلا . ولقطعه منا وصلا . وانتهت الى العرض الاشرف مقالاته .  
وعلمت جهالاته . وتجنني على السلطان بارساله . وطرق الى هداه  
ما أنكره من مقال المذكور وضلاله . ووجد الاعداء حينئذ الى  
السعاية طريقا . وطلبوا لشمل استسعاده بالخدمة تفريقا .  
واختلقوا اضاليل . ولفقوا اباطيل . وقالوا هذا يزعم انه يقرب  
الدولة . ويغلب الصولة . وانه ينعت بالملك الناصر نعت الامام  
الناصر . ويدل بما له من قوة والعساكر . فاشفق البيوان العزيز  
على السلطان من هذه . وبرز الامر المطاع بارسال اخي وانفانه .  
وقالوا هذا تاج اللين أخو العماد . يكفل لنا في كشف سر الامر  
بالمراد فان اخاه هناك . مطلع على الاسرار . وهو منتظم في سالك

الاولياء الابرار . وعول عليه الديوان العزيز في السفارة . ورد معه جواب البشارة . وكتبت له تذكرة بموجبات مقاصد العتسب . ومكدرات موارد القرب . والمخاطبة فيها وان كانت حسنة خشنه . والمعاتبة مع شدتها للعواطف الامامية لينه . وذشر الاعتاب في طسي العتاب . وروح الارضاء في شخص الاغضاب . وبرد الموهبة في برد المهابة يرد ظن الخطأ الى يقين الاصابة .

وشرف من الديوان الأخ ، فسار وهـ وبـ وبـ وبـ وقـ ود  
أصحب خيلا ، وأسحب من التشريف والانعام نيلا ، وألحف من نور الالهة العباسية نهارا وليلا ، فوصل السير بالسرى وقطع الوهاد والذرا وجاء الى دمشق بشارة رائقة وبشارة رائعة واشارة رادعة وشعار مهيب . وشرع مصيب . وهيبة روعة امامية ، وهياة عصمة عصامية وفرند نبوي لاينبو ، وزند وري لايكبو ، ولسان في الصرامة جري ، وجنان بالشهامة حري . وبلاغة بابلاغ . ماليس بلاغ . وفئة وافية وصيفة بصياغة كل غريبة قول ، ورغيبة طول . وكافلة كافية وسني نور وقار يستعير منه سنير . وثبات خلق يتخلق به ثبير ، وكان قد عاد المندوب نادبا عاليا . جاحدا للنعمة شاكيا . ذاكرا أنه عدم الحفاظ . ووجد الاحفاظ . وأكثر الكلام فما حرك شمام . وقال أخو العماد قد وصل بكل عتب ممض . وخطب مقض . وغضب مغض . ولفظ فظ . وحض على غير حظ . ومعه الملامات المؤلمات . والظلامات المظلمات . فقلت له : اسكت واصمت ، وبمالك من وسم الوصم مت ، ولاتدخل هذا الباب واخرج ، وليس هذا بعشك فادرج - وقلت للاسلطان سمعا وطاعة لامر الديوان فان اظهر سر العتب لك من غاية الاحسان ، فقال : نعم ماقلت ، وقد طلت بارسال أخيك وطلت وما أسعني اذا شرفت بالعتاب . واسعفت بالخطاب ، والمملوك يذفعه التأيب . ويزعه التهنيب . على أننا لم نأت الا بكل ماوقى الهدى . وأضعف العدى . وكف الكفر . وأننى الدين . ومازلنا في طاعة أمير المؤمنين مجدين . أما فتحنا مصر وقد باضت بها دعوة الدعي وفرخت . أما استأذفنا بها تاريخ الدولة العباسية بعد ان كانت سنين بسواها أرخت ، أما استخلصت اليمن

والدعي بها داع ، وللهدى فيها ناع . وللضلال منها راع ، أما أرحت من رق الشرك الساحل . أما ازحمت عن حرق الملك الباطل ، أما فتحت البيت المقدس والحققة بالبيت الحرام ، وألحفته رداء الاكرام، واعدت الى الوطن منه غريب الاسلام . أما رعت الغرب بفرب عزمي . ووزعت الشرق بشرع حكمي ، وماتعبت الا بالعبودية للدار العزيزة . وهذه الفطرة متمكنة مني في الفريضة . فأهلا وسهلا بالرسول . وبالسول وحببا ومرحبا بالاقبال والقبول . ومأتى الا بالحب والحبور . ولامرار الامور . ولاظهار سر السرور . والبارق يشام اذا رعد ، والصادق يرام اذا وعد ، وماأسرنا بالواصل وأوصلنا بالأسرة ، وأبرنا بالجد واجدنا بالمبرة . وسمعت منه كل ماهدى سمعي . وابدى لمعي . وجمع شملي . وشمل بالعز جمعي ، ولما قرب اخي واصبحت لقدمه انتخي فأمر السلطان الأمراء على مراتبهم باستقباله ، وتقدم لجلالة قدمه باجلاله ، ثم ركب وتلقاه بنفسه ، وخصه من تقريبة بأذنه ، ولم يزل حتى اراه مواضع الحصار ، ومضار الكفار ، ومواطىء اقدام ذوي الاقدام . ومواطن بسالة اهل الاسلام . ثم نزل وانزله بالقرب وعقد له بالحباء حبيبي الحب ، وسفر وجهه لوجاهة السفير . وأحل محل التوقير والتوفير ، وتبلغ له صبح التبجيل . وتأمل منه نجح التأمل . ثم حضر عنده . وقد اخلي مجالسه لي وله وحده ؛ وأدى الأمانة في مشافهته ، ووجه مقاصده في مواجهته واحضر التذكرة وقد جمعت المعرفة والذكرة ، فقراتها عليه بفصولها وفصولها . وألزمته حكمي عمومها وخصوصها . ووقفته على ظواهرها ونصوصها . وكانت في الكتب غلظة عدت من الكاتب غلظة وخيلت سقطه ، وجلبت سخطه ، وقال ان الامام أجل ان يأمر بهذه الالفاظ اللفظاظ . والأسجاع الغلاظ فقد أمكن ابداع هذه المعاني في أرق منها لفظا وارفق وأوفى منها فضلا وارفق . ومعاذ الله ان يحبط عملي ، ويهبط أملي . وامتعض وارتمض . ثم اعرض عما عرض ورجع الى الاستعطاف . وانتجع بارق الاستسفاف . وقال اما ماتمحله الاعداء وعدا به المتمحلون . وتنفق به المنقولون وتسوق

المبطلون • فما عرف مني الا الاعتراف بالعارفة • وماهزرت منذ  
اعتزرت اعطاف العزال لما يعزني من العاطفة ، وان شرفي بالنعمة  
السالفة ، يوجب أدفي من هذه الأنفة ، وأما النعت الذي اذكر ونبيه  
على موضع الخطاء فيه وذكر • فهذا من عهد الامام المستضيء  
رضوان الله عليه وجرى لتحققه مني على الاسنة . ومتي عد سيئة  
ماعد من الحسنة ، والآن كل مايشرفني به امير المؤمنين من السمة  
فانه اسمي الذي هو اسمي واشرف . واطراً وأطرف وأرفع  
وأعرف . ومازاده ذلك العتب الاخلاوص ولاء ، وخصوص اعتزاز  
واعتزاء . ثم قال كل مااعتمده من نصرة الدين وقهر اعداء امير  
المؤمنين فإنما طلبت به وجه الله ورضاه وماتعبت به سواه . فاني  
افترض الطاعة الامامية للدين لا للنيا ، وماأتقوى فيها الا  
بالتقوى . وما في عزمي الا استكمال الفتوح لامير المؤمنين وقطع  
دابر المنافقين والمشركين . واذا عادت عواطفه عطفت علي في الحسن  
العوائد وقطفت القوائد ، وصفت الموارد ، ووفت المقاصد ، وبعد  
الاباعد ، وبعد الحاسد الحاشد ، وهجر هجر الساعي ، واجرى  
اجر الداعي . وعلم جهل الواشي ، وعذر زعر الخاشي . وجرب غش  
الغاشي . وخرب عش العشي . وذوت هموم ذوي الهمم ، وأوليت  
كرامة اولي الكرم ، ومازال السلطان مدة مقام أخي عنده ، يوري  
في اعظامه زنده ، ويأمر بإكرامه جنده ، فكنت اشفق من تكدر ذات  
البين بعود الانس والوصلة والى الوحشة والبين ، وان جماعة من  
الأكابر اجتمعوا بالسلطان وقالوا له:قد نسب حقدك الى البطلان .  
ورميت بالبهتان ولمحت طاعتك بعين العصيان . فكيف خفت  
وماعت والفتت ومسا انفتت . ورغت ومسا غرت .  
وصبرت وماسبرت • وأغضيت لما اغضبت • وأعتبت لما عوتبت •  
وراقبت ومسا روقبت

فقال تذالي للديوان العزيز تعزز به أين . وتوسلي إلى مرضاته  
توصل بالله فيه استعين . فتواضعي ترفع ، وتخشعي  
تورع ، وحبل حبي متين ، ومكان قربي مكين . ومما قلت له  
واوضحت له سبله ، انا كنا بطاعة امير المؤمنين نطول ونصول

ونزاول بها الملوك وعنها لانزول ، وهذه فضيلتنا التي رجحت .  
ووسيلتنا التي نجحت وكنايها مسعوبين . وعليها محسوبين . وقد  
شملت بها برركاتها . وكملت حسناتها . وصفت مشارع  
يمينها ، وضفت مدارع حسنها ، فلا تلتفت الي من يلفتك ، ولا تتنبت  
لمن لا يثبتك ، واعرض عمن تعرض لمذهب الخلاف ، ولذوره اجتلي  
واجتني ، ثم ندب مع أخي من سار في خدمته لزيارة القدس ، وامر  
بأن يقف به على مواقف الظهر التي ظهرت من أهل الرجز  
والرجس ، ثم ودعه واودعه من شفاهه كل ما في النفس وبالغ في  
ابداء التضرع والتذرع واظهار التخشي والتخشع ، وانشأت عنه الى  
الديوان كتباً معه وبعده ضمننتها كل ما حلا وجلا جنة وجده ، وكل  
ما يبطل سوق المتذققين ويعطل نفاق المتسوقين . ويهجن خلق  
المخالفين . ويزيل تليفق الساعين . ويزيح سعاية الملافقين . ويتعرف  
الى العوارف الغزر بالشكر ، ويستعطف العواطف الغر  
بالعذر ، ويجتهد في استفراغ المجهود للاستغفار ، وينفض عن وجه  
البشر ما عليه من الغبار ، وظهرت بعد ذلك بالقبول آثار الرضا  
ومضى ما مضى وقضى من اعزاز الديوان قدر السلطان بما قضى .

وفي هذه السنة استشهد الأمير شمس الدين بن المقدم بالموقف في  
عرفة لابداعه رسماً ماعرفه ، فذهب غلطا وعطب فرطاً. وذلك ان امير  
الحاح طاشتكين انكر عليه ضرب الطبل فامتنع ، فندب اليه من به  
بأصحابه أوقع ، فتمت من هذه الفتنة فترة ونمت ذفره ، ولما نمي  
الخبر الى السلطان لم يبد منه سوى الاذعان وقال لاشك ان  
طاشتكين طاش ، وقصد بعد الايناس الايحاش ، وعد الديوان  
العزیز هذا من ندوب طاشتكين حتى عزله واعتقله بجرأئمه بعد  
سنتين .

## نسخة كتاب جامع للفتح القدسي الأيمن انشأتها الى سيف الاسلام اخي السلطان باليمن ،

صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامي ضاعف الله  
علاءه ، وظاهر الآءه وضافر نعماءه ، وأظفر بالانجح  
رجاءه ، وأضعف حساده ، وأعز أوليائه وأذل أعداءه ولا زالت أيامه  
بالايامن مسفرة ، ولياليه بالمحاسن مقمرة ، ومكارمه بالمحامد  
منمرة ، وعهود مواليه بشكر النعم محكمة ، ومعاهد معاليه بقهر  
الذقم مقفرة ، ودالة على البشرى بالفتح الأكبر ، والنجح  
الأزهر ، والنصر الأشهر . والعصر الأبهـر . والفضل الأكثر .  
والافضال الأوفر ، واليوم الأنور ، واليمن الأنضر ، والفجر  
الأسفر ، والفخر الأظهر والجد الأشم الأشمخ ، والمجد الأبلج  
الأبلخ ( ٩ ) ، والعز الأسمق الأسمى . والنور الأتم الأتمى .  
والظفر الأجل الأجل . والوطر الأحل الأحلى ، والشرف الأسنم  
الأسنى . والعزم الأغنم الأغنى ، والسعد الأجد الأجدى . والصيت  
الأبدي الأبدى ، وهو الفتح الذي تفوح بمحابه مهاب الفتوح . وتبوح  
يسر روحه وملاكة سرائر الملائكة والروح . وتروح وتغدو وغواذي  
النعم وروائحها الى روض الهدى المروح . وتلوح تباشير بشراه وفي  
لوح الدهر لكل مؤمن يتلقاها بالسوجه السافر والصدر  
المشروح ، وتتوح ناعية الكفر في كل ناحية ولكل نادبة للأسى على  
قتيلها واسيرها ندوب في القلب المقروح ، وهو فتح بيت الله المقدس  
الذي غلق نيفا وتسعين سنة مع الكفر رهنة ، وطال في اسره سجنه  
واستحكم وهنه ، وقوى نكره وضعف ركته ، وزاد حزنه وزال  
حسنه ، وأجدبت من الهدى ارضه ، وأخلف مزنه ، وواصله خوفة  
وفارقه امنه ، واشتغل خاطر الاسلام لأسببه وساء ظنه ، وذكر فيه  
الواحد الأحد ، الذي تعالي عن الولد ، وان المسيح ابنه وأربع فيه  
التثليث فعز صليبه وصلبه ، وأفرد عنه التوحيد فكاد يهي متنه ودرج  
الملوك الأقدمون على تمنى استنقائه فأبى الشيطان غير استيلائه  
باسفار صبح امرنا واشراق مطالع نفانه ، ونخر الله هذه الفضيلة

لنا ولهذا العصر . وأنزل على نصلنا نص النصر . وأطلع الليل  
عزمتنا فجر الفخر ، ووقفنا لوصل اسباب الاسلام وقطع دابر  
الكفر ، وذلك انا استفتحنا سنة ثلاث وثمانين بقمع اهل  
التثايت ، وأصرخنا الاسلام بالجد المنجد والعزم المغيث ، وخرجنا  
من دمشق في المحرم ، في العزم المصمم . والرعب المجهر الى الكفر  
والبأس المقدم . وكنا اشفقنا على طريق الحج . من قصد الفرنج  
فشغلناهم عن القصد بقصدهم . وتصدينا لجهادهم بردهم عن  
المراد وصددهم ، وأقمنا بظاهر بصرى مخيمين على سمت الكرك ،  
وقدمنا الطلائع الى المناهل ونظمتنا سلك امدادهم في ذلك  
المسلك ، حتى وصل الحاج سالما . ونزل الكفر عن قصده  
راغما ، ولما فرغ القلب من شغله وفاز كل بجمع شمله بأهله ، سرنا  
الى الكرك في الامراء والمفريدين الخواص . وشفعنا للجهاد في سبيل  
الله الفاتحة بالاخلاص ، وقد كنا استدعينا العساكر والجموع  
للجهاد من جميع الجهات . وترقبنا توافيهم للميقات ، وأمرنا ولنا  
الملك الافضل ان يقيم برأس الماء ، ويكون في خدمته جميع الامراء ،  
وسرنا الى الكرك والشوبك فاخربنا عماراتها ، وأحرقنا  
غلاتها ، وقطعنا ثمراتها ، وأزعجنا ساكنيها ، وأخفنا  
أمينها ، وأجلينا عنها فلا حياء . وأقمنا الذوائج عليها في  
نواحيها ، ووصل اليها ونحن بالقريتين العسكر المستدعي من الديار  
المصرية ، فقويت به قلوب الأمة الحمديّة ، واجتمع بالمخيم الافضلي  
برأس الماء من وصل من العساكر الشامية والفراتية ، والجزرية  
والموصلية والديار بكرية ، فانتهز ولنا هناك فرصة  
الامكان ، وانهض الى الكفر سرية سرية من اهل الايمان ، فساروا  
سارين . واغاروا غارين ، واخذوا ونهبوا . وسبوا وسلبوا فلم  
يشعروا الا وجموع الكفر قد سدت عليهم الطريق ، وأخذت دون  
خروجهم الى السعة المضيق ، فثبتوا ثبوت الجبال للرياح  
العواصف ، وشرعوا الى عرانب الكفر اسنة الرماح  
القواصف ، وكان مقدم عسكرينا مظفر الدين بن زين الدين ومعه  
مملوكنا قايماز النجمي صارم الدين ، فلحقا بصدريهما صدور  
العوامل ، وحملنا في عسكرينا على الفارس والراجل ، وحصل

الفرنج منهم في دائرة الردى ، وخذل الضلال ونصر الهدى وكثر من  
الفرنج القتلى والأسرى ، وعاد المسلمون بالسرعة العظمى والبررة  
الكبرى ، واتصلت بنا ونحن في بلاد الكرك البشري ، وشكرنا الله  
على نصرته الأولى وقلنا هذه مقدمة الأخرى ، ولما قضينا الوطر من  
تلك البلاد ، ووفينا بأحراق اقوات أهل النار بالنار حرق  
الجهاد . فاجتمعنا بأصحابنا القادمين من مصر وتناصرت لدينا  
دلائل الظهور وتظاهرت إمارات النصر . عدنا إلى الشام . وقد  
تكاملت به جموع الإسلام . وزخر بحر الفضاء بأمواج  
الإعلام . وطفا على اتباع لجة حباب الخيام وقد فض الفضاء ختام  
الفتام . وعلق بالفلق من ذلك الفيلق غرام الرغام . فخيما بعشرا  
( ١٠ ) شهرا . وقد أعدنا بشهر بنات الغمود سرها  
جها . وخطبنا من الله الكريم فتح بكر جعلنا بذل المهج لها  
مها . وقد سمع الفرنج بجمعنا فجمعوا . ونادوا في بلادهم  
فأسمعوا . واجتمعوا على صفورية من صفر . وحشروا في تلك  
الاشهر من جمعهم في المحشر جموع سقر . وأخرجوا صليب  
الصليبوت . وقائد أهل الجبروت . فتهافت إلى شعلة ناره  
فراشهم . وتوفى إلى ظلة ضلاله خشاشهم . وقاموا وقيامه رعيهم  
قائمة . وسوابج جردهم في بحر العجاج عائمة . وطلائعهم سارية  
وسراياهم طالع . ومقدمات رعيهم منا السائرة لجذوبهم وقلوبهم  
مقضة خالعة . فلما تكامل منا الجمع . وأخذ بعجاجة وعجيجه على  
الآفاق البصر والسمع . عرضنا عساكرنا في يوم يذكر بيوم  
العرض . ويتلو مشاهده لتنزل الملائكة ( والله جنود السموات  
والأرض ) ( الفتح ٤٧ ) في رايات خافقة كقلوب الأعداء . عالية  
كهمم الأولياء . وسرنا في جموع ضاق بها واسع الفضاء . وسار في  
كتائبها نازل القضاء . وسحب نيل الأرض بمثار نقعها . على  
السماء . وقطعنا الأرين . وتأيد الله مواصل . وقدره بأقدارنا  
على الأعداء كافل . فما المنة بطبرية حتى فتحناها  
بالسيف . وبخلناها بخول المغير لا بخول الضيف . وتسلمنا  
المدينة . ونازلنا قلعتها البكر الحصينة . وذلك يوم الخميس الثالث  
والعشرين من شهر ربيع الآخر والخميس يؤم الخميس . وأسد

الوغى قد اتخذت من وشيخها العريس . هذا والملك العادل عنا  
غائب . ومعه ايضا بمصر كتائب . وتوفيق الله له صاحب . وكنا  
عزمنا قبل قصد طبرية . ان نلاقي الفرنج على صـفـورية . في  
مركزهم ومجتمعهم . ونلابسهم في مخيمهم . فحين نزلنا من الثغر  
بالاقحوانة ( ١١ ) . وتمسكنا من الله بالاستنجاد  
والاستعانة . ركبنا قبل قصد طبرية الى الفرنج في  
مجمعهم . واشرفنا عليهم في موضعهم . فما برحوا من  
مكانهم . ولا تحركوا برجالهم ولا فرسانهم . وارتبنا في صحراء  
لوية موضعا للمصاف واسعا . وفضاء لمأزق الجمعين  
جامعا . وبتنا هناك باطلاب الابطال ميمنة وميسرة . ووجدنا بتأييد  
الله اسباب الظهور ميسرة . ووجدنا في خـواصنا  
والجاندارية . ونزلنا في العدة المجربة على طبرية . واخذ النصابون  
ساعة النزول في الذقب . فصرع قائم سورها للجنب . وبخل الناس  
اليها ليلا للنهب وكانت ليلة مدلهمة معتمه . وارجاء المدينة  
مظلمة . فاشعلوا واوقدوا . وبخلوا الدور وتفقدوا مالهم يفتقدوا  
وكانت بها حواصل من زفت وكتان علاقت بها النار . فاحترقت تلك  
المساكن والديار . وتحصن اهلها بقلعتها . وتمنعوا  
بمنعها . فاصبحنا على حصرها . وسلكنا جدد الجدد في  
امرها . فجاءت رسل الامراء . ان الفرنج قد تحركت . وانزعجت  
لكون عقيلتهم من طبرية تماكت . وادركهم الندم كيف تركت وما  
ادركت . وانها قد عبت جنودها . وشبت وقودها . ولبت نداء  
جموعها . وصبت عليها ماء دروعها . وغاضت في غدران سوابغها  
السابرية . وفاضت ببحار سوابجها الاعوجية . وان جمرهم قد  
استعر . وان بحرهم قد زخر . وانهم قد اتوا في عديم  
وعيديهم . وحدهم وحبيدهم . وخيلهم ورجلهم . وطلهم  
ووابلهم . وفارسهم وراجلهم . واحزاب ضلالهم وابطال  
باطلهم . وانهم حين عرفوا استيلاءنا على طبرية . وسبقنا بفضيلة  
فتحها البرية . غاروا على العقيلة السبيه . واشعلت نخواتهم نار  
الحمية . وساقوا الى معترك الردى وملتقى المنية . ولما عرفنا  
قربهم . قصدنا حربهم . وزحفنا اليهم . واشرفنا عليهم . واللجب

الساري كالجبل الراسي . وقد افاض الحديد من قلبه على الحجر  
القاسي . ولعت بوارق بيارقه . وراعت طوارق طوارفه . وبرقت  
قوانس قوامصه . وارتعدت فرائص فرافصه . وأمكنت فرائس  
فوارسه . وباح الحديد على عوابسه بوساوسه . وماجت بحار  
سلاهبه . واشتعلت نيران قواضيه . وشدت الاجادل دون صوار  
صوارمه . وسدت بعرض افواجه فجاج مخارمه ، وقرنت الالفات  
بلاماته . وظهر من حشره يوم الحشر بعلاماته . فاغتنما الفرصة في  
اللقاء . وهجنا الى الهيجاء . واسرعت الاعنة . واشرعت  
الاسنة . ونقع النقع . ( ١٢ ) أوام الجو . واجاب الصدى دوي  
الدو . وجال الجاليش . وطار السهم المريش . وعصفت رياح  
السوابق . واستعبرت عيون البوارق ، ولقيناهم في عرم-  
عارم . ومجر جارم . وعوامل جوارم . وصواهل  
صلادم . وضراغم ضوار . وجوارح جوار . واسود قد اعتقلت  
اساود . وجياد قد حملت اجاود . وسوايح قد اقلت  
بحورا . وصدقور قد ركبت صدقورا . واوقفناهم نهار يوم الجمعة  
وساكنهم لا يتحرك . وبازلهم لا يبرك . وصفهم لا ينفذ  
وجدارهم لا ينقض . وبنيانهم مرصوص . وطائرهم عن الطيران  
محصوص . حتى نخل الليل . وقر في الوادي ذلك السيل . وبات  
الفريقان على تعبيتهما . واجابة داعى الموت بتليبيتهما . واصبحنا  
يوم السبت واهل الأحد على حالهم ولم يريموا ووضع  
قتالهم . ومازالت الحملات تتناوب . والاسلات ( ١٣ ) تتواثب  
وتتناوب . والسواعد بقرع الظبي سواع . والرواعف في زرع الطلي  
رواع . والمنايا تنن . والبيض تصافح البيض صافحها . والذكور  
لنتاج الحرب العوان بالفتح البكر عند اللقاء لقاحها . والذوابل في  
اشاجع الشجعان ذواب . والصوارم لجوامح النيران  
شواب . وضماثر الغمود قد باحت باسراها . ونواظر الجفون قد  
تخلت عن غرارها . ولما احسوا بأسنا . وامبرار أمراسنا  
والهجير يتلظى وقد قد عليهم بناره . والام يتوقد ولايتوقى  
احراقهم باواره . مالوا الى طلب الماء . واخذوا طريق البحيرة  
للارتواء . فأخذنا عدامهم ووقفنا امامهم . وحلأناهم عن

الورد . والجأناهم الى الردى بالرد . فاعتصموا بتل  
حطين . وصرنا بهم محيطين . وتحكمت فيهم قواضي  
القواضب . ونشبت من النشاب بهم نيوب الذوائب . وكان جمعهم  
جمرا وقد وقد . فصب عليهم السيف نهرا فخمى . وقضوا  
بالفضاء . وفرشوا بالعراء . وعب دأماء الدماء . وغصت الفجاج  
بالقتلى والاسراء . واسر الملك واخوه . والابـرنس الكركي  
ومؤازروه . ووجه الكفر ومقدموه . ومقدم الداوية  
وأعوانه . وصاحب جبيل واعيانه . وهنفرى بن هنفرى وابن  
صاحب اسكندرونة وصاحب مرقية . ولم يفلت الا ابن بارزان  
والقومص ( ١٤ ) . وتم لهما من الورطة المخلص وكان كلاهما  
ملهما عند اللقاء بالقتال . وعند الفرار بالاحتيال . فاما القومص  
فانه لما مر بطرابلس ادركه الموت في برجه المشيد . ونقله القدر المبيد  
الى عذابه المؤبد . وذل ذلك اليوم أهل الجبروت . وحيز صليب  
الصلبوت . وبار وباد اولياء الطاغوت . وهلك عبدة الناسوت  
واللاهوت . ومك عليهم القدر كتاب الاجل الموقوت . وقدمنا  
الابرنس وضرينا رقبته وفاء بالندر . وعجلنا به الى النار مأوى أهل  
القدر . وألحقنا به الداوية والاسبتارية . وادرنا عليهم صبرا  
كؤوس المنية . وروينا ظماء الظبي من نجيعهم . وقربنا سيد الفلا  
من صريعهم . وعدنا الى طبرية فتسلمنا قلعته . وحلنا عقدتها  
وفرعنا ذروتها . وافترعنا عذرتها . ثم سرنا الى عكا ففتحناها  
بالامان . واعلنا بها شعار الايمان . واستقربنا بعدها البلاد  
الساحلية من جبيل وحد طرابلس الى الداروم غير صور فانها  
امتنعت بسورها . ولم يبق في كأس الكفر غير سورها . وانها  
وجدت فسحة في ايام اشتغالنا بفتح اخواتها . وكثفت من عدد  
المحاصرة الاتها . وكنا لما فتحنا عسقلان بداننا بالنزول على القدس  
وذلك يوم الجمعة ثالث عشر رجب ٥ فـرجف

بها قلب الكفر ووجب . وظن اهلها انهم يعتصمون . وانهم من  
بأسنا يسلمون . فنصبنا عليهم منجنيقات هدت احجار السور  
بسورة احجارها . وانن ركوعها بسجود الابراج في اجبارها .

ووفت الصخور باصراخ الصخرة . وعثرت تلك القل لاقالة مادام  
بها من العترة . وكشف النقب وثقب الاسوار . ورمت الجنادل  
جوانب ذلك الجدار . وعلم الكفار لمن عقبى الدار . وأيقنوا بالقتل  
والاسار . فخرج مقدموهم متذللين بالانذعان . مبتهلين في طلب  
الامان . فأبينا كل الاباء . الا سفك الدماء من الرجال وسبي  
الذراري والنساء . فخوفوا بقتل الاسراء . واخراب العمران وهدم  
البناء . فأمناهم على قطيعة موازية لاثمانهم لو اسروا او سبوا .  
فأمنوا . من ان يسلبوا وهم على الحقيقة قد سلبوا . ومن وفي منهم  
بالقطيعة خرج بحكم العتق . ومن عجز عن ادائه دخل تحت الرق .  
وعاد الاسلام باسلام البيت المقدس الى تقديسه ورجع بنيانه من  
التقوى الى تأسيسه . وزال ناموس ناقوسه وبطل بنص النصر  
قياس قسيسه . وفتح باب الرحمة لاهلها وبخلت قبة الصخره  
لفضلها . وباشرت الحياة بها مواضع سجودها . وصافت ايدي  
الاولياء اثار القدم النبوية بتجديد عهودها . وشوهد مقام المعراج  
وموطىء براقه . ورئي نور الاسراء ومطلع اشراقه . وبنا المسجد  
الاقصى للراكع والساجد . وامتلا ذلك الفضاء بالاتقياء الاماجد .  
وطنت اوطانه بقراءة القرآن ورواية الحديث وذكر الدروس . وجلبت  
هدى الهدى من الصخرة المقدسة جلوة العروس . وزارها شهر  
رمضان مضييفا لها نهار صومها بالتسييح وليل فطرها بالتراويح .  
وشفى الله بسقيا هذا الفتح ماكان دهم القلوب لاجلها من تبار  
التباريح . فالبيت الحرام مساو للبيت المقدس . مفدى منا كلاهما  
من المهج والاذفس بالانفس . وانه من المساجد الثلاثة التي تشد  
اليها الرحال والرجال . ويضيق عن وصف شرفها في حلبة البيان  
المجال . وهو للحرمين ثالث ولا تثلث في حرم توحيده . فتجدد جد  
الاسلام بتجديده . ولما فرغ البال من تدييره . وقضينا حق تقديسه  
وتطهيره . صرنا الى صور . ونازلناها بعسكرنا المنصور . وفي  
صور سؤر الكفر وبقيته . وقد تحصن بسورها ومنعته شر نمته .  
وهي مدينة حصينة . متوسطة في البحر كأنها سفينة . وقد نصبنا  
عليها المنجنيقات فنكأت فيها . ورمت من اعاليها وهدمت من  
مبانيها . ولم يبق في جعبة الكفر سوى نشابها . وان جمحت علينا

فنصرة الله وعوائد تأييده لنا تؤنن بأصحابها . واذنا تسلماها  
تسلمنا بأن الله كل بلد للفرنج باق . ومالهم من عذاب الله الواقع  
بهم واق . ثم رأينا ان حصار صور يطول . وان مسألة بيكار  
( ١٥ ) العسكر فيها تعول وان فتحها لايفوت . وله وقته الموعود  
ووعده الموقوت . وكان العسكر قد ضجر ومل وأعياء وكل . وقد نخل  
الشتاء . وبرد الهواء . وجاءت السماء وتواترت الانواء ، وتواصلت  
الانداء . ولا بد من استئناف جمع العساكر في ايام الربيع .  
واستمداد النصر الذي يضم لاستجداد الفتح شمل الجميع . ورحلنا  
عنها بعد ان رتبنا حولها . في الثغور المجاورة لها . من يديم شن  
الغارات عليها . ويواظب على النهوض اليها ، وفسحنا لاجنابنا في  
الاستراحة مدة شهرين الى النيروز . فان في تلك الايام تتوفر  
العزائم على المبارزة والبروز . وقد جرت المواعدة على المعاونة .  
والمعاونة للمعاونة . والمعاهدة للمساعدة . فليس في الفرنج من  
يقاقل الان على الخيل . والنهار عليهم في اظلام الليل . والعز  
متقلص الظل عنهم والذل صافي النيل . وقد حزب حزبه من حربنا  
مثير للحرب والويل . وقد اشتمل الفتح على البلاد المعينة . والمعقل  
المبينة . وهي : طبرية . عكا . الزيب . معليا . اسكندرونة .  
تبنين . هونين . الناصرة . الطور . صفورية . الفولة . جينين .  
زرعين . دبورية . عفريل . بيسان . حيفا . صرند . صيدا . قلعة  
ابي الحسن . جبل جليل . بيروت . جبيل . مجدل يابا . مجدل  
حباب . الداروم . غزة . عسقلان . تل الصافية . التل الاحمر .  
الاطرون . بيت جبريل . جبل الخليل . بيت لحم . لد . الرملة .  
قنيتا . القدس . صوبا . هرمس . السلع . عفرا . الشقيف . ولم  
نذكر ماتخللها من القرى والضياع والابراج الحصينة الجارية  
مجرى الحصون والقلع . ولكل واحدة من البلاد التي ذكرناها  
اعمال وقرى ومزارع . واماكن ومواضع . وقد جاس المسلمون  
خلالها . واسترعوا ثمارها وغلالاتها . وقد كنا عند قصدنا البلاد .  
وعرضنا للجهاد الاجناد . كاتبنا اخانا الملك العادل سيف الدين ان  
يدخل بالعساكر المصرية من ذلك الجانب . وينتظر كتابنا بنصر هذه  
الكتائب . فلما بشر بكسر الفرنج وفتح طبرية وعكا . والظفر الذي

اضحك الاولياء وازعج الاعداء وابكى . وتلا عليه ( قد افلح المؤمنون )  
( المؤمنون ١ ) وقد ( افلح من تزكى ) ( الاعلى ١٤ ) كان وصل  
الى السواد في سواده وبياضه . وبحار جيشه وبراضة . وورد من  
مورد النصر الى حياضه . فجاش بجيوشه . وجاز العريش  
بعريشه . وزار دار الداروم بدمورها . واجفلت قدامه البلاد في كل  
من اعتمد عليه بامورها . ووصل الى يافا ففتحها عنده . ونال  
العسكر منها بالنهب والسبأ حظوه . ثم حضر مجدل يابا  
وحصرها . وطلبت منه الامان فانظرها . وكتبنا اليه بالاقامة في ذلك  
الجانب . ماضي العزائم قاضي القواضب . وان يستفتح من البلاد  
مايتعجل فتحه . ويقدم من الرجاء مايتيسر نجه . الي ان نفتح مافي  
جانبنا من البلاد وننتسلمه . وننتهز فرحة الامكان فيما نحن بصدده  
ونغتذمه . وقد كنا انهضنا الى كل بلد من الناصرة وصدفورية .  
وحيفا وقيسارية قسرا وتسلمت البواقي سلما . ورأى من كان فيها  
سلامته غنما . ورضي بالغرم رغما . وتسلمنا نحن تبنين وبيروت  
بالامان . بعد ان قاتلنا اهلها قتالا شديدا الجاهم الى الازعان .  
فاما صيدا فان صاحبها اذعن الى التسليم . بعد ان بات منا بليلة  
السليم . واما جبيل فقد سلمها صاحبها وخلص من الاسر . ورأى  
خلاصه فيما تعجله من الخسر . وحينئذ سرنا واجتمعنا بالملك  
العادل على عسقلان . وهان لنا كل مااستصعب منها ودان . وظهر  
لنا منها وجه الفتح وبان . واصبنا فواندها لمارمينها بمصائب .  
واصمينا مقاتل الاسوار بسهام قسيها . وعاقبناها بحيالها  
وعصيتها . واقتننا بخزائم الكرة اذف الطاعة من عصيتها . وصافحنا  
ببيض الصفائح يد الرضا من أبيها . وباشرت سهام المجانيق  
بسواكها ثنانيا الشرافات فهتمتها . ونهضت احجار الرماه الى  
احجار البناء فهدمتها وهدمتها . وغنى فيها معول الذقاب . ولما ايقن  
اهلها بالعطب . لاذوا بالضراعة والطلب . وخرجوا مسلمين  
مستسلمين . وانقادوا مستكينين مذعنين . واسلم البلد واسلم  
وجدع اذف الكفر وارغم . وعاد منه الايمان الغريب الى وطنه . وقر  
منه الاسلام القريب في مسكنه . وعند ذلك تسلمنا غزة . واعدنا اليها  
العزة . واتينا على الرملة ولد والنطرون . وفتحنا بيت جبريل وجبل

الخليل وجميع تلك المعازل والحصون . ثم ختمنا فتوحات هذه السنة بفتح الارض المقدسة . والحمد لله على نعمه المفرجة للكروب والطافه المنفوسة . وقد جعلنا هذه البشارة القدسية . بما هناء الله من الموهبة السنويه . وسناه من المنحة الهنية . لاملوكتنا حسام الدين سذقر الخلاطي وامرناه ان يسير فيها من اصحابه . من يقوم فيها بحق منابه . والمجلس السامى يشيع ميامنها ببلاد اليمن . ويجلو عروسها البكر في حسننها الحالي وحليها الحسن . ويشكر نعمة الله التي خصنا بها وعمت الامة . ويديم شكرها فان دوام الشكر يديم النعمة . لازل المجلس مشكور الشئمة معالى الهمة . منصور العزمه . ان شاء الله .

### ودخلت سنة اربع وثمانين وخمسائة

والسلطان مقيم بعكا وربيب الربيع رضيع . وشي الروض وشيع . وصنيع القدر نصيع . وشمل الظفر جميع . وفضاء الروض وشيع . ومراد المراد مريع . ونسيم الاسحار لاسرار الازهار منيع . واريح الجو العليل في شفاء غليل الجوي شفيع . والدهر قد ثمل وافاق . والزهر قد شمل الافاق . وللمحاب مهاب . وفي الشعاب اعشاب . وخدود الشقائق محمره . وثغور الاقاي مفترة . وعيون النرجس مصفره . وشفاه المنابع مخضرة . واحداق الحدائق الناضرة ناظره . ووجنات الجنات الزاهية زاهرة . وعذبات المنابت متموجه . وحافات المناهل متديجة . وجباه الغدران متفضنه . وجفون النوار متوسنة . والافنان مسورقة والورق متفننه . وخذ الخبري مورد . وحد العراد مجرد . وعرف البهار قد تأرج . ووجه الجنار قد تخرج . وعذار البنفسج قد بقل . وعذر الزمان قد قبل . وشارب الذبت قد طر . وهارب البرد قد فر . وسر الصيف قد سرى وسر . وطبي الطيب قد حقل ودر . وتقاضى السلطان غريم عزمه

بدين الدين . وان ان يصحر ليث بأسه الخادر من العرين . فأبرز مضاربه . وجhez كتائبه . وضرب سراقه . وعرض فيالقه . وشر بيارقه . وحشر رواعده ويوارقه . وانفق خزائنه . وانفد دفائنه . وبذل في صون الدين لينااره . واشعل في حفظ ماء الهدى على العدى ناره . وسار على سمت حصن كوكب . وعن قصده ماتنكب . ونزلنا عليه في العشر الاوسط من المحرم . ومامنا الا من له بقتال العدى فيه لهج المحب المغرم . ولعزمه وهيج الالهيّب المضم . ووجدنا كوكب في سمائها كأنها الكوكب . وظن الفرنج انها لاتنكأ ولاتنكب . وهي من المصاعيب التي لاتبرك ولاتركب . فأحطنا بالحصن وخيمنا حوله . واستمددنا قوة الله وحوله . وزحفنا اليه الرجال . وتناوب عليه القتال . وركب اليه السلطان ورازه . واستصعب احتيازه . ورأى ان مقاتلته تطول . وان مسألته تعول . وان محاولته في مطاولته . ومصابه في مصابرتة . واضاقته في مضايقته . وان ما في هذه الحال اقتضى تعذر افتضاض عذرتة . ولا مطمع الآن في فرع نروته . ولا قرع مروته . وكان في خواصه . واهل استخلاصه . لم تتجمع عساكره . ولم تتموج زواخره . فاقام هناك بالتدابير مستغلا وللانشغال مدبرا . وبالاستظهار متأيّدا . وبتأييد الله مستظهدا . حتى رتب على قلعة صغد خمسمائة فارس . من كل محرب للحرب ممارس . وسلمهم الى طغرل الجاندار . لمرابطها بالليل والنهار . ووكال بكوكب قايماز النجمي في خمسمائة مقاتل . من كل ناصر للحق وللباطل خائل . وكان سعد الدين كمشبه الاسدي بقلعة الكرك موكلا . وبحفظها مكفلا .

## ذكر حال الكرك من اول الفتح

وقد مضى ذكر وقوع ابرنيس الكرك في الشرك . بمعتكر يومه في المعترك . وافتتاح الفتح بحذفه . وبسط كداف الانتقام عليه بقبضه وكفه . وانه اخذ رأسه . وقطعت انفاسه وقلعت اساسه . وكانت

زوجته ابنة فليب صاحب الكرك بالقدس مقيمة . ولحفظ معاقلها مستديمة . وحصل ولدها هذفري بن هذفري في قبض الاسار وقيد الخسار . وغمه الانكساف والانكسار . فلما يسر الله فتح البيت المقدس . واصبح الاسلام عالي اليد والكفر راغم المعطس . خرجت صاحبة الكرك متعرضة للخضوع . متضرعة بالخشوع . وبرزت مسكينة مستكينة . متعطفة مراحم السلطان مستلينة . رافعة عقيرتها بالابتهاال . شافعة في فك ولدها من الاعتقال . معفرة خدا من شأنه التصعر . مسفرة عن وجه من عادته التخدر . حاسرة خسرى . باسرة لحزنها بأسرى . والدة تزداد ولدها . والهة دخل الرعب خلدتها . مطلقا ميسورها . مستطابقة مأسورها . ثانية عطف العطف لواحدتها . رانية بعين الذل في خلاص ساعدها ، سائلة في فلذة كبدها . جائلة بجذوة كدها . باسطة يدها . نائرة خرزات دموعها . عائرة بحزازات ولوعها . خافضة جناح استعطافها . ناهضة في نجاح استسعافها . راجزة بنوحها . عاجزة عن بوحها . وخرجت معها زوجة ابنتها ابنة الملك . كأنها من بنات الفلك . بايا صبح وجهها اليقوق ( ١٦ ) في ليل شعرها الحلك . مشرقة من اوجها . مشدقة على زوجها . محترقة على فداء الحليل . مقترحة به شفاء الغليل . خادرة قد اصفرت من مطالعها واصحرت . حادرة عبرة في مدامعها طحرت ( ١٧ ) . ناهدة متنهدة . واجدة متواجدة . معتزة متذلة . مهتزة متملمة . باكية متلهفة . شاكية متأسفة . مستدعية مستعنية . عاطية مستعطية . ساكية عبراتها . راكبة عثراتها . خامشة وجناتها . خادشة بشراتها . وحضرت الملكة في زوجها الملك خاطبة ولقرمها الندب نادية . قد أذعنت وعنت لفكاك عانيها . وطلبت بطلها الذي هو عامر دار عزها وبانيها . فاكرم السلطان وفادتهن . ووفر افادتهن . وقرب ارادتهن . وقرر زيادتهن . ووهب لهن ولاتباعهن واشياعهن ما كان يلزمهن ويلزمهم من مال القطيعة . ووصلهن بصلاتة الرفيعة . وخصهن بمالاق بكرمه من حسن الصنيعة . ووثقهن بنجح الذريعة . وأما الملكة فانه مكن محلها . وجمع بالملك شملها . وتقرر مع صاحبة الكرك اطلاق ابنتها على تسليم قلعتي الشوبك والكرك . وبخولهما في معاقلنا وخروج

اصحابهما منهما في الدرك . فاستحضر ابنها هذفري من دمشق اليها واقرب رؤيته عينها . وسار معهم من الامراء الامناء من يتسلم منهم تلك المعاقل . ويحوز من تلك العقيلة العاقلة تلك العقائل ، فمضت اليها مع ولدها . حسنة الظن بأهل بلدها . فلما وصلت قاطعوها . ودافعوها عن حصونها ومانعوها . واخلفوا ظنهم وخالفوها . حيث ما ألفوها كما ألفوها . وجنحوا وجمحوا . واجترأوا عليها واجترحوا . وعصوها وأقصوها . وعددوا عليها الذنوب واحصوها . وأفدشوا لها في خطأ الخطاب . وأودشوها بالتلحي عن صوب الصواب . وسبعوها وسببوها . والى موافقة الاسلام نسبوها . وكالما لاينتهم خاشنوها . وكالما قاربتهم بايندها فوجدت نذوة نوابها . وعدمت إصحاب أصحابها . وذكرتهم بحقوقها . وحذرتهم من عقوبتها . ولاطفتهم فغلظوا . واستترضتهم فاحفظوا واسترعتهم العهد فما حفظوا . ونبهتهم لأمرها فما استيقظوا . وانفصلت عنهم خائبة مخفقة . هائبة مشفقة . تخشى من رد ولدها الى السجن . وعودها من الاصحاء الى الدجن ، ومضت الى الحصن الاخر . فحصلت منه على صفقة الخاسر ، فانها لما المت بالشوبك المت من شوب كدرها واملت نفعها فعادت بضررها . ولقيت من نوابها نوائب . وفي موارد المراد منها اقذاء وشوائب . فأبت بالامل الخائب والعمل العائب . والخوف الصادق والرجاء الكاذب . فلما رجعت قبل السلطان عذرها . وازال زعرها . وأعلمها بان ولدها محفوظ . وبالرعاية ملحوظ . وبالعناية به محفوظ . وهو في حصن السلامة الى ان تتسلم الحصون . واذا بذل مصونها بذلنا لك منه المصون . فسكنت الى الوعد . وسكنت بعكا في ظل الرفد والرفد . ثم انتقلت قبل خروجنا من عكا . الى صور . واستودعت السلطان ابنها الماسور . وأمد السلطان سعد الدين كمشبه في حصار الكرك والشوبك بامراء يساعده في الحفظ والليزك . فاقام على كل قلعة من يكفي لمحاصرتها . ويفي بمصابرتها . ويلبث في مقابلتها . ولايعبث بمقاتلتها . فانها تبقى على قوتها مالم تقو ( ١٨ ) من قوتها . وتدوم على طغيانها مالم يذل عذطاغوتها . فلما رتب

السلطان هذه المراتب . ورب هذه المآرب . أقام حتى وثق  
باستمرارها وتحقق حق استقرارها .

## ذكر مادبره في عمارة عكا

اختلفت الآراء في امر عكا فانها كانت مدينة متخرقة . وبيوتها  
متفرقة . وسورها غير معمور . ومعظمها بلا سور . ورأوا أن في  
إبقائها خطرا . وأن في إخلائها ضررا فمن اصحابنا من اشار  
بخرابها وحفظ الحصون . وبناء قلعة القيمون . ومنهم من قال اذا  
صينت عكا ملك البحر . وهلك الكفر . وكانت على البلاد الساحلية  
قفلا . وكانت بها بلاد الكفر غفلا . فمن قائل بإبقاء برج الداوية  
لحفظ ميناها . ومن قائل نختصرها من أبنائها . ومن قائل نجد  
سورها . ونحكم أمورها . ونبقيها بحالها . ونعمرها بكمالها . على  
أن أسوار هذه البلاد سيوفها التي هي عند الفتوح مفاتيح أقالها .  
وأجالوا الفكر فيمن يجلي غوائلها . ويحلي عواطلها . ويتوحد  
بتدبيرها . ويتفرد بتعميرها \* ويجتهد في تسويرها .

## ذكر وصول بهاء الدين قراقوش لتولي عمارة عكا

فقال السلطان: ما أرى لكفاية الامر المهم . وكف الخطب الملم . غير  
الشهم الماضي السهم . المضي الفهم . الهمام المحرب . النقيب  
المجرب . المهذب اللودعي . المرجب الالعي . الراجح الرأي .  
الناجح السعي . الكافي الكافل بتذليل الجوامح . وتعديل الجوانح .  
وهو الذئب الذي لا يتزلزل . والطود الذي لا يتحلحل . بهاء الدين  
قراقوش الذي يكفل جاشه بما لا تكفل به الجيوش . وهو الذي ادار  
السور على مصر والقاهرة وفات وفاق الفحول باثار مساعية  
الظاهرة . فنامره ان يستنيب هناك من يستكفيه لتمام تلك العمارة .

ونؤمره لهذا الامر فهو جدير بالامر والامارة . وكوتب بالحضور . لتولي الامور . وعمارة السور . فوصل متكفلا بالشغل . متحملا للثقل منشرح الصدر بالعمل . منفسح السر والامل . مبتهجا بالامر . ملتتهجا بالشكر . وقد استصحب معه كل ما يفتقر اليه من اسباب العمارة والاتها وادواتها . وانفارها وأبقارها . ورجالها وعمالها وعمارها . ومهندسيها ومؤسسيها . وحجارتها ومعماريها . والاسارى والصناع . والنحات والقطاع والمال الكثير للنفقة والذهب الابريز والرقعة \* ومثل بالخدمة السلطانية على كوكب . وحضر الكوكب وشرف باسني الخلع وأعطى الملابس والركب وفوض اليه وقلده \* واسعفه من عنده واسعده \* وقوى جانبه \* واعذب مشاريه وأوضح مذهبها \* وانجح مأربه \* وأجد جده . وكثر مدده \* ووفر عدده وعدده \* وخصه بعطاياها \* واستخلصه لوصاياها \* فتوجه الى عكا وشغله متوجه \* وعزمه متنبه وسره مترفه \* وفكره في رياض الهدى متنزه \* وامره ماض وحكمه قاض \* والله عنه راض \* وقام بما أقيم له \* ونهض بالعبء وحمله \* ومشى بكفايته عمله \* وشرع في التعمير والتسوير \* وتسوية الأمور بحسن التدبير \* وسياتي شرح ما جرى بعد ذلك في مكانه \* وما ظهر من حسن اياتته واحسانه .

ذكر وصول رسول سلطان الروم قليج أرسلان وغيره من الرسل .

لما شاع خبر السلطان باستيلائه على البلاد . واستعلائه في الجهاد . وتارجت الارحاء بعرف عرفه . وأرخت السير بمحاسن وصفه . عنت الامصار لمصره . وأعنت الاملاك لملكه \* وانقادت الامراء القادة لأمره . وعادت مهاب المحاب تفوح بما له من الفتوح . وشروح ايراده واصداره تحل في صدر الزمان المشروح فتهيبه بالضراعة كل عظيم . وتأهب له بالطاعة كل اقليم . ورهبه ملوك الاطراف . وتعلقوا باستزادة الشرف منه أهل الاشراف . فكاتبوه

مستسعين . وخطبوه مستعطفين . وراسلوه بالتحايا . وواصلوه بالهدايا . ورجبوا في امتراء خلف الامتزاز . والاتشاح والاتصاف بحلف الاتشاح . وخطبوا الوصلة . وطلبوا الصلة . وكل يطلب لبلده منه امانا . وليده وقدمه من تمكينه وتاييده امكانا ومكانا . ويتوصل ويتوسل . وبتلطف ويتطفل . ويرسل ويسترسل . ويترجى مواهبه . ويتخشى عواقبه . ويديم التردد للتودد . والقصد لبلوغ المقصد . فما يعود رسوله الا بسوله . ولايقبل عليه منه الا بقبوله . ومن جملة الملوك المتقربين بالوداد . المتسببين الى حصول الاتصاد . سلطان الروم قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان . فسانه بـذل الاذعان . وسأل الاحسان . وأدى في المودة الامانة . وأبدى للرغبة الاستكانة . واستنهض في سفارته السفير الالب . وندب الندب . وأنفذ أكبر أمرائه . وأعظم سفرائه . وهو اختيار الدين حسن بن غفراس . وكان في دولته مقدا . وفي مملكته محكما . وعنداهل ولايته معظما . وقد استعلى عليه واستولى . واستبد بالتدابير عليه كأنه بملكه أولى . ولا تصرف له في ملك ولا مال الا بتصريفه . ولا تعرف له عن حادث وحال الا بتعريفه . فوصل هذا الكبير بنفسه لتمهيد القواعد . وتشديد المقاصد . وتجديد العهود . وتأكيد العقود . وقدم مكرما وأكرم قادما . وخدم حاضرا وحضر خادما . وقبل البساط وبسط وجه القبول . وتمثل له الشرف فتشرف بالمدلول . وحيا تحية المماليك للملوك . وحفظ الادب ولم يتنكب فيه عن النهج السلوك . فتلقاه السلطان بالبشر والترحيب . والبر والتقريب . وأعزه بنزوله في نراه . وأوعز بنزله وقراه . ووسع عليه من الانعام بما ضاق عنه أمله . وواصله من الجميل بما راققت تفاصيله وجمله . وشفع رسالته بالاصغاء . ورفع مقالته عن الالغاء . وسمع ما جاء به وأجاب . وأبعد بانناء مآربه مارابه . وشافهه بشفائه . وأرواه بروائه . وأواه لولائه . وعرفه بالتعريف الى الآئه . ونصبت له خيمة مسردقه . شهادات الاقبال الناصري لها مصدقة . ووجوه الكرامات بها محدقة . وسحب المبرات لها مفدقة . فأقام أياما بيا من مقيمه . ومحاسن من احسان الشيم السلطانية مشيمه . فلما استقام أمره استقل . واستدر له بارق البر من سماء السماح

واستهل . ومارام حتى نال مارام . ووثق لاحكام المواثيق الاحكام .  
ووصل في تلك المدة أيضا الصلاح قتلغ أبه . وهو اتابك قطب الدين  
سكمان بن محمد بن قرا أرسلان وافيا موافيا . باحسان الخطبة  
وخطبة الاحسان . راغبا في تدميم الوصلة . وتعميم الصلة . أخذا  
لصاحبه ملك بيار بكر عهدا محكما . وعقدا من الميثاق مبرما .  
وقد أحضر قضاة بلاده شهودا . واقتضى لصاحبهم بحضورهم  
عهدا . وكان قد خطب لصاحبه ابنة الملك العادل . ومث بكثرة  
الشوافع والوسائل . وكان خائفا على آمد فانها من فتوح  
السلطان . وهبها لأبيه نور الدين بن قر أرسلان . فاشفق من  
استرجاعها بالحق بعد وفاة والده . ورأى الامن عليها وعلى جميع  
بلاده من أكبر مقاصده . ورغب في المصاهرة للمظاهرة . وان يفتح  
بها باب المزاورة للموازرة . فأواه الملك العادل الى ظل هذه  
المواشجة . وثبت بعقد المزاوجة حكم الممازجة . فتم أمنه . وعم  
يمينه . وزاد قربه . وزال رعبه . وجلس السلطان . وحضر عنده  
الامائل والاعيان . ووكلني وكان وكيل أخيه الغائب . في انشاء العقد  
مع وكيل الزوج الراغب . فلما تم العقد باركانه . اعتضد ملك بيار  
بكر بمكانه . وسار صاحبه بالمسار مصحوبا . وعاد نيله بالفخار  
مسحوبا . وقال له : قد وجدت الحزن فلا تحزن . واشتد ركك فالى  
سواه لاتركن . وما من كبير أو أمير الا وقد وصل منه أكبر أمرائه .  
لينتظم بعهد السلطان في زمرة أوليائه .

### ذكر رحيل السلطان صوب دمشق

وأقمنا على كوكب الى اخر صفر . ننتظر منها بمن كفر الظفر . ثم  
رأينا انه يطول حصرها . ولايقوت أمرها . وان الفتح يبطن . وان  
كان السهم لا يخطىء . فأمر الامراء الموكلين بها وبغيرها من  
الحصون . بالمقام عليها وابتذال سرها المصون . ورحل السلطان  
نحو دمشق طاهر الشيمة ظاهر العزيمة . سامي اللواء . هامي

الانواء • نامي الانوار في مطالع المضاء . ودخل اليها يوم الخميس  
سادس شهر ربيع الاول . بالصدر الارحب والباع الاطول . وتلقاه  
اهل البلد بوجوه لاقباله متهللة . والسنة بالدعاء له مبتهلة . وعيون  
لانواره مجتليه وقلوب بولائه ممتليه . واسماع لامره مستمعه .  
وايد إلى الله في نصره مرتفعة . وصدور بايامه منشرحة . وأمال في  
انعامه منفسحة . ونفوس على طاعة الله في طاعته مجبولة •  
واعمال في رضا الله لمراضيه مبرورة مقبولة . ودخل المدينة . وأدخل  
اليها السكينة • فوجدت الروح بسطانها . وعادت الروح الى  
جثمانها • وقرت به عيون أعيانها . واقرت له بحسنها واحسانها .  
وابتدا بالجلوس في دار العدل . وبحضرة القضاة والعلماء من اهل  
الفضل . واسترفع قصص المتظلمين . واستمع غصص المتألمين .  
وكشف الظلمات المظلمة . وفصل الحكومات المستحكمة • وقرأ كل  
قصة . وقرأها بكل حصة . وحقق الحقوق . ورتق الفتوق • وأقام  
للشرع السوق . وأتم لرجال الرجاء بعبله الوثوق . وحل بانصافه  
كل مشكلة . وطب باسعافه كل معضلة . واصحت سماء السماح .  
وأصبح جراح النجاح • وأعدى المستعدي • وأروى الصدي .  
وحيا الحي وأورى الردي . ومجد المجدي • ومهد الحق حتى قيل  
هو المهدي . فما انقضى ذلك اليوم . وانقض اولئك القوم • الا عن  
مظلوم أجبر بالحق . ومعلوم أجري من الرزق . وعالم أعين . وظالم  
أهين . وهاد زين . وعاد شين . ومختل سدد ومنحل عقد ومعتل  
شفي ومعتر كفي • وما حل جيد • وأمل زيد • وركن حق شد  
وشيد • وخن باطل أبير وأبيد • وراح أنى فوزه . ولاح أسني  
عزه • وجلس يوما آخر للاكابر والامائل . والاكارم والافاضل .  
فاضاء النادي وفاضت الايادي • وغدق الندى وصدق الهدى . وكر  
الكرم . وفر العدم . وحفل الدر ودر الحفل . وشمل النظام وانتظم  
الشميل • وصان العلماء بالبذل . واعان بافضاله أعيان اهل  
الفضل . وفاز بالحمد وحاز الثناء . واجاز الشعراء واكرم  
الكرماء . وروح الرجاء . واولى النعماء . ونعم الاولياء وتقاضاه  
عزمه بالحركة لاستفاضة البركة . واستضافة المملكة الى المملكة .  
فلم تستقر به دار • ولم يدر به قرار . ولم يثبت في جفنيه غرار . ولم

يبت الاوبين جذبية لحب لقاء العدى اهل النار نار . وكان الصفي  
ابن القايض قد استجد للسلطان على بعض أبراج القلعة دارا .  
وأذهب في نضارتها ذهباً ونضارا . وهي متطاولة بين البروج مطلة  
على المروج ، مشرفة على موازاة الشرفين ، كاشفة غطاء النظر عن  
الغوطتين . صحيحة البناء ، فسيحة الفناء . بهية البهو . شهية  
الزهور . مجدة لأهل الجند نكري اللهو . فرشها بماء الورد .  
وفرشها بالورد . وبسط بسطها وعلق ستورها . وأعلى نورها .  
وحبر حبورها . وسرى سرورها . وسنى انواع نمارقها . وأسمى  
أنوار مشارقها . وتوصل الى حضور السلطان بها وجلوسه .  
ونهببت تباشير بشره بقطوب الزمان وعبوسه . واحضره كل مقرظ  
بقريض . وكل مؤمل بتصريح وتعريض . وكل ناشد ضلالة رجائه  
بنشيد . وكل قاصد جلاله ارجائه بقصيد . وكل مغرد مغرب . وكل  
مطر مطرب . وظن ان السلطان تروقه تلك الحلية والحالة . وتلك  
الجلوة والجلالة . وتلك البقعة المؤسسة . وتلك الرقعة المقدسة .  
وذلك المشرف العالي . وذلك المشرف الحالي . وانتظر نظـر  
استحسانه لاحسانه . وتوقع تمكينه لموقع مكانه . فما اعاره لحظا .  
ولا لمحة بطرف استطراف . ولا منحه حرف استعطاف . بل اعرض  
بنظرة عن تلك النضارة . وأغضى عن تلك الغضارة . وغض عن تلك  
الغضاضة . واشتغل عن تلك الرياض بالرياضة . فالعاقل من  
لايتخذ من دار الدوائر معقلا . ولا يجد في منازل النوازل منزلا . ولا  
يركن الى فناء الفناء لبيب . ولا يسكن في غار الغرور اريب . وكيف  
يبني العمران والعمر الى الهدم . والغم في الدنيا الدنيئة عين الغرم .  
وقال السعيد من يبني دار الآخرة . وينجو من امواج الدنيا  
الزاخرة .

ثم صرف في تلك الايام الصفي عن ديوانه . وابقاه في شغل الخزانة  
على مكانه . وسمعته يقول في بعض محافله . وقد أجرى له حديث  
من يفرح بمنزله ؛ كان من نذوب الصفي عندي انه بنى لي تلك  
البنية . فدل على انه لم يوافق منه الامنية . وقال مايعمل بالدار من  
يتوقع المنية . وماخلقنا الا للعبادة . والسعي للسعادة . ومايخطر

لنا في هذه الدار خلود بالخلد . ومالنا وللمقام في البلاد والبلد .  
وماجئنا لذقيم . ومانروم ( الا ) ان لانريم . وماتحررنا الا  
للسكون . وماسهلنا الا للعود الى الحزون . فما يجنى ثمر الراحة  
الا من مغرس التعب . ومايجنى نصيب المغزم الا من مغرم النصب .  
فأين الاين . الذي تقر به العين . ومايحصل السكون في المسكن .  
ولايكمل الوطر في الوطن . لاسيما والدين يطالبنا بدينه . والكفر  
يستقرب منا حين حينه . والبلاد سائبه . وللبلاد هائبه . فلا تفوح  
الفتوح الا بهبوبنا . ولاينزل النصر الا بركوبنا . وغدا للحزم  
متمما . وللعزم مصمما . ووصل الخبر بوصول عسكر الشرق  
بالغرب الماضي ، والحد القاضي . والجمع الوافر الوافد . والجمر  
اللافح الواقد . وان عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي قد اقبل  
بقبيله . ووصل برعيه . وقدم بجده ، واقدم بجده . وانه حل بحلب ثم  
سار عنها مسارعا . وجاء معه الجيش للنجدة والجدة جامعا .  
فأرهب العزم السلطاني خبر وصوله . وحل بالشد للرحيل عقد  
حلولة . وكان القاضي الاجل الفاضل ذو الجلالة والفضل . والنباهة  
والذبل . متأخرا في بيته بدمشق لشكاة اقام في غيرها . واستقام  
مزاجه الكريم منها وهو في ترقب زوال اثرها . والسلطان بنجح  
سعيه متبرك . وبنصح رأيه متمسك . وبطوله عالم وبقوله عامل .  
وبعبارته قائل . ولاشارته قابل . فأراد السلطان ان يقدم بلقائه  
الاجتماع . وبرأيه الانتفاع . ويستتير بذوره . ويستشير في  
اموره . ويفاوضه في تفويضاته . ويقلده في تقليداته . ويتبرك بميامنه  
ويتيمن ببركاته . فانه طالما اجتلى سني السعاده من مطالعه .  
واجتنى جني الارادة من صنائعه . وافتتح الاقاليم بمفاتيح اقلامه .  
وجاءه بالوجاهة في بينه ودنياه باسعافه واسعاده . وكان قد خرج  
الى جوسق الشرف الغربي الاعلى . ليتفرغ هناك للعبادة ويتخلى .  
فأصبح السلطان بكرة يوم الثلاثاء حادي عشر ربيع الاول على  
الرحيل . فقصده لابرام ماوجده في مملكته من الامر السحيل . واقام  
عنده في الجوسق الى الظهر . مستظهرا به على الدهر . حتى كشف  
مهمات مهماته . ورشف شفاه مشافهاته . وانتجى معه في الاراء  
والاراب . وانتجع لربه من رأيه صوب الصواب . وارتجع سر الغيب

ممن عنده علم من الكتاب . ثم استودعه الله وودعه . ودعا له الاجل  
الفاضل وشيعة . وبات تلك الليلة مخيما بالعرادة . محتما بالسعادة  
راجح السيادة . ناجح الارادة . ثم سلك في جبل يبوس الى عين  
الجر الى الدلهمية . على البقاع . وهو مطيع امر الخالق ومتبعه  
والخلق تابع امره المطاع . واتى بعلبك المحروسة . وخيم بمرج  
عدوسه . واقام حتى امر امرها . وادر درها . وقسم لها من عدله .  
وعدل بها من قسمه . وحكم فيها بفضله . وأفضل عليها بحكمه .  
وكشف الظلم والمظالم . وصرف المكاره . وصرف المكارم . ورفع من  
المعالي المعالم . وأجرى رسوم الاجر والمراسم . وامر الرعاة برعاية  
امر الرعية . وحكم على القضاة بالحكم في كل قضية بالجهة  
الشرعية المرعية . ثم رحل على سمت اللبوة . معصوم الذبوه .  
مصون الكتيبة من الكبة والكبوة . ثم اوجه الى الزراعة وزرع الظفر  
قد توجه . وشرع النصر الصافي الشرعة من الكدر قد تنزه ، وقد  
كحل عتير العسكر طرف الجو الامره ، ( ١٩ ) وقد آن لعين الشمس  
الراقدة من الهبوة ان تعاد الهبوة وتتدبه ، وزرع من الزراعة من  
السمر المركوزة والبيض المهزوزة نبات الخط . وقتاد الخرط وضاق  
ذلك الفضاء الواسع بحط رجال الرهط .

## ذكر وصول عماد الدين صاحب سنجار والاجتماع به

ووصل الخبر بان عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي وصل جامع  
من الاداني والاقاصي ، ونزل طائعا على العاصي . وخيم على قدس  
( ٢٠ ) وخيمه قد تقدر ، والدين بدنوه تأنس ، والكفر بقدمه  
تعكس ، وانه ينتظر قدوم السلطان والاتفاق معه ، على قهر الشرك  
ونصر الايمان ، فركبنا وابن ذكاء في اسفاره ، والصبح قد زحف  
على الليل برايات انواره ، والفجر قد فجر انهاره نهاره ، وسرنا  
بصدق النزاع ، وقصد الاجتماع ، فلقيناه قد ركب مستقبلا ، وقرب  
مقبلا ، ولما راه السلطان حياه ، ولقيه بالكرامة واكرم ملاقاه ، ونزلا

فتعاقبنا ركبا وتوافقا وتساوقا ، وخيمنا بقرب مخيمه ، وجئنا وحططنا هناك رجالنا ، وخلطنا برجاله رجالنا ، وتساعد الجنان ، وسعد الجنان. وجد السعدان ، وانتظم الجمعان ، واجتمع النظامان واتحدت الكم ، وأتادت الهم ، وسأل السلطان ان يوازره ويزوره ، ويحضره بحضوره حبهوره ، فساق معه الى سرادقه وارتفع في صدره . ورفع من قدره . وصار العسكران مختطلين . وجلسا مندبطين . ووقف الامراء والعظماء سماطين كالسمطين . وقرأ القراء واورد الشعراء . وتجادب بينهم اطراف الطرف والاداب الفضلاء والعلماء . وكان مع عماد الدين شاعره السنجاري ابن الهائم . ومن عاداته ايراد المدائح في مثل تلك المواسم . فأنشد مدحا . ونشد منحا ثم بسط السماط . وسمط البساط . ومدت الموائد . وعادت العوائد ونضد الخوان . وكونت الالوان . ولونت الالوان . وصفت الجفان . واحضر الطهارة من كل حاجة وباجه . وخروف ودجاجة . وحلوحامت ( ٢١ ) وحامز وحامض . وتفاه ( ٢٢ ) وقابض . ومطبوخ ومشوي . ومصنوع ومقلي . مطاب مذاق مذه ومحضه . وطالت الايدي في بسطه وقبضه . فلما رفع من نايه القرى . وفرع بأيايه الذرى . قدم ما عده الهدايا . والتحف السنيا . من الجياد المقربة . والثياب المذهبة . والعدد المعجبة . والاسلحة المذربة . وكل ما يروق ويروع . ويضئ ويضوع . تم انفض النادي عن ندي منفض . وسدي لبكر الشكر مفتض . وعين السلطان يوما لحضور عماد الدين عنده . وانه يستضيف فيه خواصه وامرائه وجنده . فوسع سرادقه . ووشع نمارقة . وضرب بيت الخشب له لحسب بيته . واسميت الحسنى بحسن سمته وسمته . واحتفل بحفله . واجل لاجله . وارجت ارجاء النادي بالند . وراق مد النواظر التواضر في ذلك الرواق الممتد . ويسط على البسط ما حضر من الياسمين والورد . وفاح النثر . ولاح البشر ، وفرش الثرى . وشرف البرى . ورفع الحجاب . وشرعت القباب . وتوجهت الاسباب . وتنزهت الالباب . وتضوعت نوافح النوافج . ووضحت مناهج المباهج . ووضعت المطارح والمساند . والاسرة والوسائد . وجاء عماد الدين في خواصه وامرائه وصحبه . فتلقاه

السلطان برحبه . وقرب له السرير وسر بقربه . واجلسه الى جنبه .  
وحباه بحبه . واقبل عليه بوجهه وقلبه . وجلس من جرى بالجلوس  
رسمه . وسما في الرؤوس اسمه . ووقف الامراء والحجاب .  
والعظماء والاصحاب . على مراتبهم في مواقفهم . ودب الاعتزاز في  
معاطفهم . وكان النادى مهيبا . والندي مجيبا . والذرا رحيبا .  
والقرى قريبا . والظل ممدودا . والفضل مورودا . والحفل حافلا .  
والشمل شاملا . والبساط مقبلا . والذشاط مقبلا . والمرئي عاليا .  
والمسموع مطربا . والمجموع مغربا . والمنظر والمخبر جليلا جميلا .  
والمطلع والمطلب منيرا منيلا . والمكان عليا . والزمــــــــــــــــــــــــــــــــان  
جليا . والربيع في انتهائه . والصنيع في اشتهائه . والمصيف في  
ابتدائه . والمضيف في انتدائه والنعيم في نضرته . والاريب في  
اربه . والطروب في طربه . والضرب من الخلق الحسن في  
ضربه . وكانت ايام المشمش وقد وصلت من دمشق  
احمالها . وحلت في تلك الحالة حالها . واقدم الجندل  
قدومها . وطلعت في ابراج الاطباق نجومها . كأنها كرات من التبر  
مصوغة . أو باورس مصبوغة . صفر كأنها ثمار الرايات الناصرية  
حلا وذوقا . واحل شوقا . ولو نظم جوهره لكان طوقا . وهو احلى  
من السكر . واعبق من العبير . واحسن هيئة من النارنج  
الأحمر . والليمون المركب المدور . وقد زفت عروسه في الثوب  
المعصفر . والخمار المزعفر . كأنما خرط من الصندل . وخلط  
بالمندل . وجمد من الثلج والعسل . فهو الذي يضرب بضربه مثل  
الثلمل . ويقضب من قضبه لقب القبل . ونظر منه ما نضر . وما  
حظر ما حضر . ورئي هناك لقطوفه قطاف . ولطوافيره  
طواف . ولعقوده مصارف . ولذقوده صيارف . فكأنها وجوه  
العشاق اكتست اصفرارا . أو جمرات تشتعل نارا وتبدي  
شرارا . وقد اعاد لجينها صواغ القدرة الالهية نضارا . بل هي  
احداق الحدائق . وقلوب البوارق . ووجنات الجنات صبغها بلونه  
البرق . وصفرها من خوفه الرعد ودورها بوقده الودق . لابل اصفرت  
من مهابة الجنات الجناه . وانتظمت من جواهر الحيا  
للحياة . واضطرمت لهاها شوقا الى فتح اللهاة . ثم صرفت



والترائك . والبواتر البواتك . والدلاص الموضوعه . والنصال  
المسذونة . ومن المستعملات المصرية الذهبية والحريية . والملمح  
والديقي . والمصمت والمغربي والعراقي . ومن نسج تونة  
وتنيس . كل ثمين ونفيس . وما شاكله من انواع الطيب . على  
الذمط والترتيب . ثم انصرف وعرف حمده متضوع . وعرف جده  
متنوع . وشدو شكره وعطف فخره مترنم مترنح . وامره متحبر  
متربح . ووده مترح مترجح . ودعاؤه صالح . وثناؤه  
صاح . ولسانه داع . وجنانه واع . وعهده راع . وسعده  
ساع . وتصاحب هو والسلطان في الركوب والجلوس . والتناجي  
بما في الذفوس ، والتدبر فيما يقدم ويؤخر . ويقرب ويقرر . ويورد  
ويصدر . وتكررت المشاورة في الموضوع الذي يبتدأ بقصده . ويوفي  
العزم فيها الجهاد حق جهده . واتفقوا على عرقا وعرقها  
وعقرها . والنزول بعقورها . وانها اذا ملكت ملكت  
طرابلس . واسفر عن صبح فتحها الغلس . واقام العسكر اياما  
على قدس . ويقبس النصر قد تأنس . ولسناء الظفر قد  
توجس . واتي العرب . وواتي الارب . واجتمعت الجيوش  
وجاشت الجموع . وأن الليل العزم المدلج من صبح النجح  
الطلوع . ونبتت الفيوض من النعيم وفاض الينبوع . واينعت ثمار  
المبار وطابت الينوع . ثم رحلنا اول شهر ربيع الآخر الى البقيعة  
تحت حصن الاكراد وخيمنا على الربا والوهاد . وصوبنا الى  
الجهاد هوادي الجياد . وادينا قطاف الطاف الله لاجتناء  
الاجناد . وكانت الاعشاب بالشعاب واصية . والشواثب من  
المشارب قاصية . والقضب للقرب في طاعة الله عاصية . وطار  
الرب . وثار العجم والعرب . وخاف الكفر . وطاف الذعر . وقال  
نفر الشرك نفر . ولانستقر . وتشوروا وتشاوروا . وحاوروا  
وتحاوروا . كأنهم في قبور حصونهم اموات . لا ترتفع لهم من  
الوهل والوله اصوات . واجمعنا على دخول بلد الساحل على  
التجريد للتجريب . وجوس خلال البعيد والقريب . ثم تجرد العسكر  
عن الاثقال . وتجراً على اخذ اهبه القتال . وسار السلطان ومعه  
عماد الدين زنكي . وسيفه بصقاله يضحك وبدم الكفر

يبكي . ومظفر الدين كوكبوري . وهو الذي حين يوارى صارمه المشهور في نجيع العدى لزند الظفر يوري . وصحبه من فرسان العرب كل فارس معرب . ومن شجعان الاكراد كل فاتك محرب . ومن فتاك الاتراك كل قسور قاسر . ومن صيد الصناديد كل كسروي كاسر . وكل كمي كميش . واكديش على اكديش . وقارح على قارح . وخضم على سابح . وجري جار جارح . وبهمة وبطل . وجبل على جبل . وفحل على فحل . وذمر نكل وورد على ورد ومرد على جرد . وحلس وحلبس . وياشر بالموت معبس . واهيس اليس . واحمي احمس . وغشمشم همام . وايهم مقدم . وباسل ذي باس . وعاسل عاس . ورئباك على رئبال . ومشتمل على شكال . وبحر على بحر . وصقر على صقر . وركبوا سلاهبهم . وجذبوا جنائبهم . وجروا على الساحل سيولا . وجروا بالذوايل نيولا . وطار ابليس طرابلس بخوافي الخوف . ودام الجوى في رعب اهلها بدم الجوف . وماसार الا من خوف في نهضته . ونهض بخفته . واحس حصن الاكراد بالاكار . وصفت على صافيتا بوارق البوار . وقطع عرق عرقا وعقرت . وتعمرت العريمة وتعقرت . ومزعت تلك الاعمال ومزقت . وارهقت وازهقت . ونفرت انقارها . وبقرت ابقارها . وملئت بالدوائر بيارها . وسيقت مواشيتها . وحشيت بالنيران اوساطها وحواشيتها . ونزل السلطان على حصن يحمور فما قدروا يحمونه . وابتذل مصونه واسـتخرج مـكـذونه . وفتحـه وفتحـه . ومساه بالدمار وصبـحه . واقام في تلك الديار عشرة ايام يجوسها ويدوسها . وقد حيزت له نفاذسها ونفوسها . ثم رحل بمغنمه . وقفل الى مخيمه . وعاد العسكر مسرورا منصورا . محبورا موفورا . قد اطلع من تلك البلاد على العورات . واضطلع بالغنائم في تلك الغارات . ونكا منها في الاعمار والعمارات . وانقضى شهر ربيع الآخر وذلك المرحج يموج بالعساكر موج البحر الزاخر . وقد وصل قاضي جبلة يحث على قصدها . ويحض على انجاز وعدها . ويحرض على اعذاب وردها . ويحقق ان الظفر في هذه السنة يبتدىء من عندها . ويقول

ان الاشتغال بطرابلس مع احترازها واحتراسها . وكثرة  
ناسها . وتدرعها بلباس باسها . واستعدادها للحصار . وتجنبها  
عن الاصحار . يذهب الزمان . ويفوت الامكان . وهذه جبلة وما  
وراءها من المعازل . قنيصة الحابل . وفرصة للمتناول . ولهنة  
للآكل . ونغبة للناهل . وامنية للمعاقل . لم يفترع عذرة امنها  
ذعر . ولم يفتأ سورة نفعها ضر . ولم يقرع باب يسرها عسر . فان  
سلكنا سبيلها . ملكنا سلسيلها . وان جزنا ساحتها . حزنا  
راحتها . وان استقنا ملكها ملكنا قيادها . وان اعتدنا حواءها  
حوبنا عتادها . وان افتتحنا بها فتحناها والمسلمون بجبلة  
مجبولون على التسليم . مؤملون ان يتبدل شقاؤهم منكم بالنعيم .  
فعرفناه بصحة نصحه . ورفعناه بحجة نجحه . واصفى السلطان  
الى قوله . واصفى له ورد طوله . واقبل عليه وقبله . واجزل له  
العطاء واكملة . وكان قد وصل له مقدمو جبل بهرا . فوفر لهم  
رواتبهم واجرى . وخلق عليهم وشرفهم . واسعدهم بالمواهب  
واسعفهم . فندبوا الى اتباعهم . وكتبوا الى اشياعهم . واجمع  
السلطان على دخول الساحل بتلك العساكر الجاهل . ورحل يوم  
الجمعة رابع جمادى الاول . حافل الجدفل سامي القسطل . ماضي  
المنصل . فسرنا في اجام مؤتشبه . واکام معشبه وحزن  
وسهول . وشعاب وتلول . ومعالم ومجاهل . ورواب  
وهواجل . ومغايض وغياض . وارتفاع وانخفاض . حتى خرجنا  
الى ساحة الساحل . ونزلنا بها ومبارك مبارنا مواحي رسوم تلك  
النواحي المواحل . ومعنا احمال واوساق . واثقال  
واسواق . وازواد وامداد وعدد واعداد . والخيل عرمرم . والسيل  
عرم . والمجر لجب . والغيل اشب . والاسد في عريس من الاسل  
العراص . والفوارس الصلاد في غدران من السوابغ الدلاص . وقد  
نشأ العجاج كعجاج النشاص . فاندلجت بدلولنا معاقد  
المعاقل . واعتلت باستيلاء فحولنا عقائد العقائل . وحلت لخطبه  
سيوفنا كرائم الحوالي والعواطل . ونحن في استباحة  
واستباء . واصطلام واصطلاء . وارتياذ وارتياء . وقتك  
باعداء . وسفك لدماء . وبتك لرقاب ذوي الفجور ، وهتك لحجاب

ذوات الخدور ، ننال من العدو كل نيل وتدبير عليه في داره دائرة كل  
ويل • فما نقطع الا واديا يغيظ الكفار ، ولانحضر الانابيا نزيدهم  
به الدمار ، وسرنا الساحل الساحل ، في ثلاث مراحل ، حتى  
وصلنا الى أنطرطوس يوم الأحد سادس الشهر ، فاحدقنا بها من  
البحر الى البحر ، وزحف اليها الناس ، وحفز عليها  
الباس ، وخاب رجاء رجالها وخب نحوها الياس ، وقابلتنا  
ساعة ، فلم يجد اهلها للدفاع استطاعة ، وودخلت من جوانبها  
وتخللت من مذهبها واصابتها نوائبها ، ونابتها مصائبها وفل  
غريبها وجب غلالها ، وسبي من أخذ من نسائها  
وأطفالها ، واعتصم من نجا ببرجين اعتصما بالامتناع ، وهما  
هناك من أحكم القلاع ، وفي أحدهما الداوية جمرة الكفر ، ومعهم  
مقدمهم الذي اطلق من الأسر ، وفي البرج الآخر المنهزمنون  
الناجون ، والقارون اليه اللاجون ، فنزل على هذا البرج مظفر  
الدين بن زين الدين ، فأبدى لمن استتر فيه وجه التامين ، وحركهم  
الى الخروج بالتسكين ووذقوا بأمانه ، وأمذوا بميثاقه • ومكن كل  
منهم لسلامته من تسلم مكانه ، فلما ظفر مظفر الدين بالبرج هدمه  
وهده ، وحل من احكامه ما الكفر شده ، وركب النقب على ركنه  
العالي ، ونكبه في ذلك اليوم بما تنكبت عنه نواكب الليالي ، وخرب  
الى اساسه سورره ، ورمي الى البحر صخوره ، وامتنع برج الداوية  
بدائها الدوي • واتبع مردتهم في التمردهوى طاغوتهم  
الغوي ، وأقام العسكر حتى نقض اسوار انطـرطوس  
وقوضها . وربضنا بها الى أن عفينا ربضها . ولما امتنع البرج  
تركناه ، وما كانت فيه فرصه لو ادركناه ، وكيف كنا نشتغل بفتح  
برج عن البلاد ، وللفرص أوقات هي لها بالمرصاد ، ومن يسلك  
الجدد اللاحب لا يعرج على بنيات الطرق ، ولا يستغني مدلج الليل  
بالدراري عن الفلق ، ورحلنا عنها رابع عشر الشهر ، شاهرين  
على الأعداء سيوف القهر ، ونزلنا على مرقية وقد دخلت من أهلها  
وتخلت • وتشعثت عمارتها واختلت ، وكان جوازنا الى جبلة على  
الساحل تحت حصن المرقب ، وهو معقل للاسبترارية عالي  
المنكب ، سامي المرقى والمرقب ، ضيق المذهب عسر المطلب ، فلم

يكن بد من عبور ذلك المضيق ، وسلك ذلك الطريق ، وقد صفت الفرنج في البحر المراكب ، وسدوا المذاهب ، وردوا الراجل والراكب ، وفوقوا الجرخ للجرح ، وسددوا الزنبورك للقرح والطرح ، فعسر العبور ، وكثر العثور ، وامتنع الجواز ، ووجب الاحتراز ، وأعوز الظهور وظهر الأعواز ، وذلك ان صاحب صدقية ، رام ان يكشف عن الفرنج البلية ، فجهز اسطولا بجهازه مستطيلا ، وحمله من عدد القتال وعدد الرجال عبئا ثقيلا ، واتفق وصوله في تلك الايام في ستين قطعة ، تحسب كل واحدة منها قلعة أو تلعة ، من كل شييني من شأنه شن الغارة ومن عاداته العابية تشعيث العمارة ، مع طاغية يقال له المرغريط . قد عرف منه التوريط ، من أرجس الطواغيت ، وانجس العفاريت فوصل الى طرابلس بطوله واسطوله ، وصوله وصوله ، فما أحلى ولا أمر . ولانفـع ولا ضر ، ولا استقل ولا استقر ، ولانقض ولا أمر بل صار على الفرنج وبالا ، واحـدث لهم بما يسومهم من مؤنـته امحالا ، وماخـفف عنهم بل زاهم على الثقل اثقالا ، ووجد الكفر في اوان توانيه فلم ينتفع ولم يرتفع شان شوانيه ، وصار الى صور ثم رجـع الى طرابلس وتردد في البحر وتلد وأبلس ، وتفرقت جماعته ، وتجنبنت شجاعته ، واضطرب في البحر اشهرا ، ولا يظهر له رأي ولا يرى له مظهرا ، فتقطت اقطاعه . وتتابعـت في الفرار اتباعه ، حتى عاد في عدة يسيرة ، وشدة عسيرة ، وكان هذا الطاغية قد حضر يوم عبورنا تحت المرقب بمراكبه ، مصفوفة في البحر من جوانبه ، قد ضيق الطريق ، ولم يطرق المضيق ، فأمر السلطان بحمل الجفاتي الى هناك وتصفيـفها ، والسـتائر وتألـيفها ، والتـراس وترصيفها ، واقعد من ورائها على مقابلة سفن القـوم وازائها ، الكماة النخية . والرماة الجرخية ، حتى تباعدت تلك السفن ، ودب اليها الوهن ، وتمت عليها الحن ، وأنحت الأحن ، ورحل العسكر فعبر أمنا وأمن عابرا ، وسار ظاهرا وظهر سائرا ، وجزنا على مدينة يقال لها بلنياس ، وقد أجفل عنها الناس ، ونزلنا في ارضها ، وخيمنا في طولها وعرضها ، وأنسنا بنهرها وزهرها في الأرواء والرواء ، وحبسنا على نواضر رياضها

نواظر الارتضاء ، وبتنا ونفحات النادي مريضة ، وجنابات الوادي مريضة ، والنسيم العليل ليل ، والعزم الصحيح دليل ، ورسوم العدو محيل ، ولقدح الفوز من تأييد الله لنا مجيل ، واصبحنا على الرحيل مبكرين ، ( فسء صباح المنذرين ) ، ( الصافات ١٧٧ )  
وسرنا وسرنا في سرور ، وسرنا في سرور ، وسرنا في سرور وجمعنا في اجتماع ، وجمعنا في ارتفاع ، ونهجننا في اتساع ، وركننا في امتناع ، وعارضنا نهر عريض عميق ، مافيه طريق ، وهو مطرد من الجبل الى البحر ، فازبحم العسكر عند ذاك النهر ، وتواقعت الاحمال والاثقال عند العبر ، وليس عليه الا قنطرة واحدة فتصادموا على ذلك الجسر ، وسار السلطان من فوق على سفح الجبل وعبر ، واستتبع من عسكره بعد الزمر والزمر ، ونزل عشية الخميس على بلده . وعانت الاثقال في تخلصها من الشدة الشدة ، وتكامل نزولها حين انتصف الليل ، ووصل الى القرار السيل ، وهذه بلدة كاسمها بلدة على شاطئ هذا النهر ، وساحل البحر ، حصينة البناء ، مصونة الفناء قد حصنها الاسبتار ، وحسنها الاستظهار وقطعوا عنها سبلوك الطرق ، بتعميق ذلك النهر المخترق ، وافينا بلدة خاوية على العروش . حاوية للوحوش . خالية من الأنس والأنس ، ( وكأن لم تغن بالأمس ) ( يونس ٢٤ ) ، وقد انزعج اهلها ، وتششتت شملها ، وتخوف أمزوها وعدم السكون ساكذوها .

## ذكر فتح جبلة

وأشرفنا على جبلة يوم الجمعة ثامن عشر الشهر ، وقد اشتهر موسم النصر ، واشتد على الكفر رهق القهر ، وكان قاضي جبلة قد تقدم في السابقة وسبق في المقدمة ، وأقدم على قصدها بالعزيمة المصممة ، فلما بصر مسلمو البلد بما وضع في الجد من الجدد وسنح من الظفر المتصافر المدد ، خرجوا مستسلمين مسلمين مستمسكين

بعز الاسلام معتصمين ، وعلت على السور الرايات الناصرية المنصورة ، والتهجت بحمد الله الالسن الشاكرة وابتهجت القلوب المحبورة ، وتحصن الكفرة من الحين ، ولجأوا في التحين الى الحصين ، فمن لاذ بالحصن الذي على المينا ، قال انه بخصانته ومنعته يحمينا ، وعاد معظمهم الأكثر بحصن البلد وهو المعقل الأكبر ، وتوسط لهم قاضي جبلة في أخذ الأمان بعد قبض الرهائن ، على ان يعيدوا من استرهنوه ، في انطاكية من أهله ، ويجمعوا شملهم بشمله ويسلموا الينا كل مالهم من سلاح وعده ، وخيل وذخيرة وغلة ، وتســــلــــمنا الحصــــين يوم الخميس ، وعادوا مأهولين من الاسلام بالأنس ، وكرمت بالكرام جبلة جبلة ، ونفت عنها بالفئة المقبلة ، الفئة الشقية المختبلة ، وسعد أهلها بعد الشقاء وتعوضوا من الشدة بالرخاء ، وافضى اليأس بهم الى الرجاء ، وفاؤوا الى الوفاء ، وانتقل أهل الجبل الى جبلة طائعين بعد العصيان ، مصافحين بالمصافاة بالايمان أيمان أهل الايمان ، وكان حصن بكسرا ئيل قد تسلم من قبل ، واتصل بفتحه الحبل ، فرتب فيه من حكم على ذلك الجانب وأهله وكانوا لقاضي جبلة مذعنين بايمانه مؤمنين ولدعائه ملبين ، ولبقائه محيين \* ونجوا من العار والتبار ، وضيم الكفار ، وتناجوا بالاستبصار والاستغفار والاستنصار ، وأضت تلك الولاية لاحسانها والية ، وتلك الناحية على سكانها حانية ، وتلك المدينة لأهل الدين دائنة دائنة ، وتلك الجنة العذبة الجني لورد دم الجنة من شوك القنا جانية ، وتلك البنية لمعالم المعالي في هدم اساس الاساءة بانية ، وتلك الهضبة راسية ، والتربة كاسية والترتبة سامية ، والربوة رابية والذروة عالية ، والحالة حالية ، واقام السلطان بها اياما حتى أزال شعئها \* وأزاع خبئها ، ورأب صدعها ورب ربعها ، وشاد ركنها ، وشد حصنها ، حتى أزال كفرها ، وجبر كسرهما ، وجد بها جذبها ، وحض بها خصبها ، وبالعدل عمرها ، وبالفضل غمرها ، وبالرعاية ملاءها

والرعية كلاها ، وبجل قاضي جبلة وشرفه • وحبس عليه ملكا نفيسا  
ووقفه ، وصرفه في املاك آبائه ، وحكمه في ولاية حكمه وقضائه .

## ذكر فتح اللاذقية

ورحل ثالث عشري الشهر يوم الأربعاء منثور اللواء ، منصور  
الاولياء • مشكور المضاد ، عالي القدر قادر العلاء ، ناجح الآراب  
راجح الآراء ، وسار برعب الى العدو يقدمه • وعزم على الغزو  
يصممه ، وأمر لأمرار الأحكام يحكمه ، وجد على تدبير الدين  
يقفة ، وحد في تدمير المارين يرهفة ، وسعادة تؤيده وتأييد من الله  
يسعده ، وسطوة على الكفار يرسلها ، وجذوة في أهل النار  
يشعلها ، وجيش للوثبات ينشطه ، وجاش بالثبات يربطه ، وهيبة  
تروع الخواطر ، وهيأة تروق النواظر ، وبتنا تلك الليلة بالقرب من  
اللاذقية معرسين ، وبات الكفرة مبلسين ، قد لاذوا من حصن  
اللاذقية بجبل عاصم • وعروة كل قلب لهم من الرعب في يد  
فاصم ، والخوف عليهم مستول • والذعر فيهم مستعل • والأفئدة  
منهم خاففة والانية بهم متضايقة ، والمهيج في سوق الردى  
نافقة ، ونحن طول الليل من السوابغ في جر النيل ، ومن السوابغ  
في اجراء الخيل ، ومن نشاط العزم في اهتزاز ، ومن احتياط الحزم  
في احتزاز ، ومن انتخاب الأجواء والجياد في انتقاء ، ومن انتقاد  
العناق والرقاق في انتقاء ، ومن انتهاض الرياح بالهواضيب في  
انتهاء ، ومن اقتضاب الأرواح بالقواضيب في اقتضاء ، والمقربات  
تسرج والسريجات تقرب ، والمقانب تكتب والكتائب تقنب  
والصوارم تنتضى • والصرائم تقتضى ، والقوارح تضمز ، والقرائح  
تخمر ، والضوامر تجرى • والبواقر تعرى ، والصلاد تلجم •  
والدلاص تستلام • والحنايا توتر • والمنايا تؤثر • والجاليشية  
تعبي ، والجاوشية تلبى .

حتى أصبحنا يوم الخميس والخميس مصبح . والمتجر مريح .

والمفخر متوضح . ولجاش فرح . والجيش مرج . وقرح العدو  
مقترح . وزند الفتح مقتدح . وباب السماء لنزول ملائكة النصر  
مفتتح . وأحدقنا بالاقلاع وقلعنا الاحداق . وخطنا بابر السهام من  
موقها أماق . وأخرجنا منهم بالارهاق الارماق . وانهضنا اليها  
الحجار والنقاب والزراق . وأطرنا الذشاب الى أوكار المقل .  
وأزرناهم رسل النصال بكتاب الاجل . وسمعنا من ضوضائهم زجل  
الوجل . ورأيناهم تغلي من صدورهم بنار الحقود مراجل الغلال .  
وأشرفوا من الشراريف قلقين متقلقلين مابين تلك القلال . وجدوا في  
القتال . وشدوا على الرجال . وسدوا مذاهب الاهواء بالاهوال .  
وهناك في الزنبورك بورك . فانه بالجرح دورك . وقلنا للكفر اخرج  
لندخل الى دورك . وأي دار فيها التوحيد بأهل الشرك شورك .  
وطالما سكنت دارنا فاخرج . ودرجت اليها فادرج . ومازلنا نقاتلهم  
بسواننا بياض النهار . ونغطي سني يومنا بليل الغبار . ونرفع من  
السور حجابة بالحجار . حتى فزنا بتمكن النقاب والحجار .  
وأخذت عليهم الذقوب . ووقذت منهم القلوب . وبلغ النقب من  
الشمال في الطول ستين ذراعا . واربعة أذرع في العرض اتساعا .  
وهي ثلاث قلاع متلاصقات . على طول التل متناسقات . كأنهن على  
رأس رأس راسخ . وذروة أشم شامخ . فسهل الله لنا فرعها .  
وشرعنا نستاصل أصلها وفرعها . وناوبنا عليه القتال . وجاوبنا  
بالنصال النصال . وأوضعت بنات الكنائن بظعائن الضفائن .  
وأثارت من مكان الاحقاد كوامن الدفائن . ودام الرماء . ومريرت  
الدماء . وانتجع النجيع . ووقع ذلك الرفيع . فاستبطيء السريع .  
وتخطي الصريع . وأبصروا مالا عهد لهم بمثله . وعابنوا ماعانوه  
من غريم الموت المطل في مطله . وفتح الحتف بابه . وحفز الزحف  
اصحابه . وكشر الشرك نابه . وصادف الكفر لدمه المطلول مصبه  
ومصابه . وذفر الناس اليهم . واستطالوا عليهم وطمعوا فيهم .  
والاجل يظهرهم والوجل يخفيهم . وهم من وراء أسوارهم . وبواء  
في بوارهم . ووبل الذبل هام . وأهل الجهد في ضراب وضرام .  
وجمر الجمع في التهاب والتهام . ووقع منهم الزمع . ومنافيهم  
الطمع . حتى ازحم على التل الصغار والكبار . واستشعرا منا

وزال منا الاستشعار . وكان لي مملوك صغير قد زحف . وأرهق  
وأرهف فقبل خده سهم . فرجع وإذا وجهه طالق لاجهم . وهو  
بقرحه فرح . ولافرح بالشهادة مقترح . وقد عدله الجرح . وحسنه  
القيح . فلما عرفوا أنهم مدركون . وأنهم يؤخذون ولايتركون .  
صاحوا الامان . واستمادوا الايمان . وذلك في يوم الجمعة الخامس  
والعشرين من جمادى الأولى عشية . وكان فتح ذلك المعقل من الله  
مشيه . فانه موضع ما فيه مطمع . ولم يكن للكفر غيره مفزع .  
وصعد اليهم قاضي جبلة يوم السبت غدوه . وكان ذلك الفتح صلحا  
أشبهه عدوه . وطلع السنجق المنصور . وانجالت الظلمة وتجلي  
النور . وأشرق الفلق وزهق الليجور . وبدا الفجر وبدا الفجور .  
وسرت القلوب وأقبل السرور . وساموا القلاع بما فيها من عدة  
ونخيرة . وأسألحة وخيل ودواب كثيرة . وأمنوا على أنفسهم  
وأموالهم . وانصرفوا بنسائهم ورجالهم . وذريتهم وأطفالهم .  
وخفوا من أذقالهم . ودخل جماعة منهم في عقد الذمة . وتمسكوا  
بحبل العصمة . وانتقل الباقون الى انطاكية . وايقنوا انهم وجدوا  
بعد رسوم السلامة العافية العافية . ورتب السلطان جماعة من  
خواص مماليكه . وأخرج من القلاع أهل الكفر وأسكنها التوحيد  
مصونا من الاشرار وتشريكه . ثم ولى بها سنقر الخلاطي  
مملوكه . وقد عرف حسن سيرته وأحمد سلوكه . فتولى الرعاية  
كافة بالرعاية والكفاية . وانتهى الى غاية في نهى أولى الفواية .  
واقام جاليا للغاية . عالي الرأي والراية . وركب السلطان الى  
البلد وطافه . وهز إلى إحسانه أعطافه . وأدنى الى عدله قطافه .  
ووفر الطافه . وأصفى نطافه . وامنه بعد ما أخافه . ورأيتها بلدة  
واسعة الافنية . جامعة الابنية . متناسبة المعاني . متناسقة  
المغاني . قريية المجاني . رحيبة المواني . في كل دار بستان . وفي  
كل قطر بنيان . وقد أبى الله أن يكون للكفرة منها جنان . أمكنتها  
مخرمة . واروقتها مرخمة . وعقودها محكمة . ومعالمها معلمة .  
ودعائمها منظمة . ومساكنها مهندسة ومهندمة . وأماكنها ممكنة .  
ومحاسنها مبينة . ومراتبها معينة . وسقوفها عالية . وقطوفها  
دانية . وأسواقها فضية . وأفاقها مضية . ومطالعها مشرقة .

ومرابعها موزقة . وأرجاؤها فسيحة . واهواءها صحيحة . لكن  
العسكر شعث عمارتها . وأذهب نضارتها . وأزعج ساكنيها .  
وأخرج قاطنيها . ومالك دور المشركين للموحدين . وطهرها من  
رجس الكفر وأظهر الدين . ووقع من عدة من الامراء الزحام على  
الرخام . ونقلوا منه أحمالا الى منازلهم بالشام . فشوهوا وجوه  
الاماكن . ومحووا سني المحاسن . وبظاهر اللانقية كنيسة عظيمة .  
نفيسة قديمة . بأجزاء الاجزاء مرصعة . وبألوان الرخام مجزعة .  
وأجناس تصاويرها متنوعة . وأصول تماثيلها متفرعة وهي  
متوازنة الزوايا . متوازنة البنايا . قد تخيرت بها أشباح الاشباه .  
وصورت فيها أمواج الامواه . وزينت الاخوان الشيطان . وعينت  
لعبيدة الصليبان . ولما دخلها الناس اخرجوا رخامها . وشوهوا  
أعلامها . وحسروا لثامها . وكسروا أجرامها . وأهدوا الاسى لهد  
أساسها . وأفاضوا عليها لباس ابلاسها . وحكموا بعد الغنى  
بأفلاسها . وافتقرت وأفقرت . وخربت وتربت . ثم لما طابت  
النفوس . وتجلى عن البلد بفتحه البوس . عاد الى هذه الكنيسة  
بالأمان القسوس وهي متشوهة متشعثة مستمسكة بأركانها  
وقواعدها متشبهة . ولقد كثر أسفى على تلك العمارات كيف زالت .  
وعلى تلك الحالات الحاليات كيف حالت . ولكنما زاد سروري بأنها  
عادت للاسلام مراتع . ولسروحه مراتع . ولجموعه مجامع .  
ولشموسه مطالع . فلو بقيت بحليها وحالتها . بعد ما تبدلت رشدها  
من ضلالتها لشاقت وراقت . وكما أفاقت فاقت . وشأت البلاد اذا  
شاءت . لكنها ساءت لما أساءت . ثم أعادها الاسلام إلى أحسن  
حاله . وجلالها في السناء أسنى جلاله . ورغب في إعطاء الجزية سكان  
البلد من النصرارى والارمن . حبا للوطن وسكونا الي السكن . فأض  
مأمول الجني مأهول الجناب . وعاد بتجار البحار مملوء الرحاب .  
وتبدل بالابدال الاخيار . والارباب الابرار . من بعد الكفار الفجار .  
والاشرار أهل النار . وكانت شواني صدقلية . قد قابلت في البحر  
اللانقية . طمعا في امتناعها . وطلبا لنياده عنها ودفاعها . فلما  
خابت خبت نارها . وباخ أوارها . وقصدت لجهلها اخذ مركب من  
يخرج من أهلها لكونهم شغلوا عن صونها ببذلها . فامتنعوا عن

الانتقال . وأمذوا بعقد الذمة على الذفس والمال . وكان السلطان يوم  
الرحيل من اللاذقية راكبا عند ميناها . وقد حصل من ترتيب العمارة  
مناها . فطلب مقدم تلك الشواني أمانه . ليصعد ويشاهد سلطانه .  
فأمنه حتى صعد . ولو أسلم ذلك الشقي لقلت سعد . ولما حضر  
الكافر عفر وكفر . وتروى ساعة وتفكر . وأحضرنا الترجمان .  
وأدى عنه البيان . وقال أنت سلطان عظيم ومالك كريم . ومالك  
رحيم . وقد شاع عدلك . وذاع فضلك وقهر سلطانك . وظهر  
احسانك . فلو مننت على هذه الطائفة الخائفة فأمنت وأفضلت  
عليها وأحسنتم . لما كنت قيادها . اذا أعدت بلادها . وصاروا لك  
عبيدا . واطاعوك قريبا وبعيدا . وان أبيت غير الغيرة والاباء .  
ودمت على ارهاق الدهماء واهراق الدماء جاء من وراء السبعة  
البحار من يسد فضاء السبع الطباق . وأفاق للتناصر على دفع هذا  
الخطب نصارى الآفاق . وثار الروم لروم الثار . وخرج الفرنج  
أنفارا للاستنفار . وسار ملوك ذوي الاقانيم . من سائر الممالك  
والاقاليم . واتي الآتي . ولايقاوم القدر المأتي . وهؤلاء أهون  
منهم . فاتركهم واصفح عنهم . فقال السلطان: قد أمرنا الله بتمهيد  
الارض . ونحن قائمون في طاعته بالفرض . وعلينا الاجتهاد في  
الجهاد . وامتثال أمره فيه بالانقياد . وهو الذي يقدرنا على فتح  
البلاد . ولا تكثر الاساد بكثرة النقاد . ولو اجتمع اهل الارض .  
ذات الطول والعرض . لتوكلنا على الله في البقاء . ولم نبال بأعداد  
الأعداء . فلما سمع ما فهمه من نجهه . ذهب بعد أن صلب على  
وجهه . وركب بكربه وكر بركبه . ولم يغن خطابه عن خطبه .

### ذكر فتح حصن صهيون

ورحلنا ظهر يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى . والهدى في  
نصره بين أنصاره يتهادى وقد تيقنا أن الفتح لا يتمادى . وان العزم  
عن الفداء بالمهج في سبيل الله لا يتفادى . وأخذنا على سمت  
صهيون . وهو حصن يفوق الحصون . ويفوت العيون وطلبنا كما

يطلب الدائن المديون . ونحن للكفر مميتون . وللإسلام محيون .  
وكان الطريق اليه في أوبية وشعاب . ومنافذ صعاب . ومضايق غير  
رحاب . وأوعاث وأوعار . وأنجاد وأغوار . وقطعنا تلك الطرق في  
يومين . ووصلنا ليلة الثلاثاء بليلة الاثنين . وخيمنا على صهيون  
يوم الثلاثاء التاسع والعشرين . ورزقنا الله التأييد والتمكين . وهي  
قلعة على ذروة جبل في مجتمع وايين . بها محيطين من جانبيين .  
والجانب الجبلي قد قطع بخندق عميق وسور وثيق . والقلعة ذات  
أسوار خمسة كأنها خمس هضاب . ممتلئة بذئاب سغاب . وأسود  
غضاب . وأحاط العسكر بها يوم الاربعاء من نواحيها الاربع .  
وهي ممتنعة علينا بالركن الامنع . والسمو الامتع . ونقل السلطان  
خيمته الى جانب الجبل بكرة اليوم . وشرع في محاصرة القوم .  
وقامت أسواق الاقواس للمذون في مغالاة السوم . وتوفرت سهام  
السهام من المقل . وتبدت بنات الكنائن من الدم القانيء حمر  
الحلال . وأسقطت حوامل المنجنيقات أجنة الصخور . وكشفت صدور  
الكنائيات أكنة الصدور . وظهر سرا لاسراء . وكثر مرآء الرماء .  
وزخر داماء الدماء . وطارت الحجارات . وحجرت الطيارات .  
ودارت حميا الحمام على أولئك . واستتجدت ملوكنا الملائك .  
وأدامت اليهم المجانيق والجروح والقسي الرمي المتدارك . وأقام الملك  
الظاهر غازي صاحب حلب منجنيين . ونهج بهما من جانب  
الوادي الى ربيء الأعادي طريقين . وكان له في فتح هذه القلعة الجد  
العالى . والجد الوالى . والعزم الماضى . والحزم القاضى . والسعى  
الناجح . والرأى الراجح . والبأس البالغ . والسطو الدامغ . فانه  
اتصل بنا قبل الوصول الى جبلة من طريق حماه . وقد استصحب  
الكماة الحماة . ومعه الرجال الحلبية . والمنجنيقية والجرجية .  
والجاندارية والخرسانية فأظهر على صهيون اليد البيضاء . وكسب  
الذكر والثناء . وأثار في فضاء الفضائل وأضاء . ودام القتال على  
المكان من جانبه . ومن جانب السلطان : والملك الظاهر في تظاهر  
ملكه . وتضافر سلكه . وريعان اقباله . وعذفوان جلاله . وشباب  
رهان مجاراته . وشبا برهان مباراته . وابراق عوده . واشراق  
سعوده . وغرة عزته . وميعه منعتة . وصدر تصدره . وشرخ تأمره

وتشمره • وقد وصل في أول نشاطه • ونشوء اغتباطه • وفتاء  
فتوته • ورواء رويته • وارتقاء ارتفاعه • وايفاع يفاعه • وترعرع  
سنه • وترعرع ركنه • وتسامي سيادته • وتراقي سعادته • واجد  
لعز العزم الجد • وأعد لري الرأي العد • واستلذ في سبيل الله  
نصبه • ورفع المنجنيق ونصبه • وجعل لرجاله نوبا • ولأحواله  
رتبا • والقم أفواه كفاته حجرا • وأجرى في الحق من الحجارات  
الجاريات من منابعه نهرا • ورجم الحصن الزاني رجم الحصن •  
وأحسن الى الاسلام وأساء الى الكفر . فله درالمسيء المحسن •  
ومازالت المجانيق من جانبه وجانبنا ترمي • والحنايا بسهام المنايا  
تصمي • حتى قتلت مقاتلة الحصن • وهان بما دب فيه من  
الوهن • وأصبحنا بكرة يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة • وطما  
بحر العسكر بأمواله الزاخرة . وازحم الناس في الزحف كأنهم في  
الحشر بالساهره . وهاج الشباب . وماج العباب . وتسابق ذوو  
الجرأة والقوة . وتلاحق ذوو الحمية والنخوة . وكان في قرنة الخندق  
عند خرقة الى الوادي موضع لم يكمل تعميقه . ولم يتم توثيقه .  
فتطرقوا من تلك القرنة الى القنة . وتسوروا السور وتسلقوا .  
وتقلعوا الى القلعة وتعلقوا . وتملكوا الذروة . وامسكوا العروة .  
واستولى على أهلها الرعب . واستشرى بهم الكرب . فتعادوا الي  
القلعة . وتفادوا من الخوف لامن القلعة . وملكت عليهم ثلاثة أسوار .  
بما فيها من متاع وشوار ( ٢٥ ) . ونعم وأبقار . وصاحوا  
الامان • وبذلوا الاذعان . ونادوا مكنونا من السلامة وتسلموا  
المكان . فما امنوا على المال والنفوس . حتى قررنا عليهم مثل قطيعة  
القدس . واغلقت دونهم الأبواب . وسير إليهم النواب . وما استقر  
خروجهم حتى استخرج منهم القرار . وجبي الدرهم والدينار . وعم  
الكبار والصغار الصغار . وتولى ذلك شجاع الدين طغرل الجاندار ،  
ثم سلم حصن صهيون بجميع اعماله . وسائر ماحواه من نخائره  
وأمواله . الى الامير ناصر الدين منكورس بن خمار تكين . اسد  
العربين وامير المجاهدين . المقدام الهمام • والمطعم • فألفى الثغر  
سداه بسداه . وامرع به مراد مراده .

## ذكر فتح الحصون المذكورة والرحيل

- وتسلم يوم السبت قلعة العيد • ويوم الاحد قلعة الجماهريين •
- ويوم الاثنين حصن بلاطنس وندب الى كل حصن من تسلمه •
- وسلكه في سلك الفتوح ونظمه •

## ذكر فتح حصني بكاس والشغر

وسار السلطان ثاني يوم فتح صهيون على سمت القرشية ، ومشية  
الله جارية على موافقة ماله من المشية . ونزل على العاصي في طاعة  
الله والنصر قد نزل . والكفر قد اتخذل . يوم الثلاثاء سادس  
الشهر . وبحور السوابح في غدران السوابغ مائجة على ذلك النهر .  
وحكم السلطان في القهر ماض بانن الله على الدهر . وتسلم حصن  
بكاس يوم الجمعة تاسع الشهر المذكور ، وشكا الشرك نكاية حد  
بأسنا المشكور . وحول خيمة خفيفة الى الجبل ، لحصار قلعة  
الشغر • وهي قلة شامخة من أعلى القل • على هضبة منقطعة .  
عالية مرتفعة • ومن نواحيها واد • خاف من العمق غير باد • في  
أعماق ووهاد • وقد قطعت من الجبل حتى اتصل بالوادي خندقها •  
واخذ من العوادي موثقها • فما اليها طريق ولا عليها طروق •  
ولا فيها للطمع علوق • ولا للسهم اليها مروق • ولا للزحف فيها  
مقطع • ولا للذر نحوها مطلع • ولا للطير في مراحها وكر • ولا للمكر  
في افتتاحها مكر • ولا للوهم في توقلها مجال • ولا للفهم من تصورها  
منال • ولالها بمن يحتفل بها احتفال • وما عليها للنازلين عليها  
قتال ولانزال • ولا يتغير لها مع تغير الاحوال حال • وصعب شغل  
الشفر • واشتغل فكر الكفر • ولم ير السلطان طريقا غير الرمي  
من المنجنيق • لعله ينال جميعها بالتفريق • وداومها بالحجارات  
أياما • ولكم سددها مرمى ومراما • فلم تهبأ بأعبائها • فإنها

ترامت عن رمائها • وابت الا ثباتها وثبتت على اباؤها • وأعياء  
اعضال دائها • واستفحال بلائها • وخام الرجاء بالارجاء عن  
ارجائها • ولو لم يضجر حاميتها لضجر راميتها • وسئم سائمتها  
لتساميتها • لكنه وهي جلده • وهوى خله وخار قلبه • وحار لبه •  
وخاف من الاقامة • وخاب من السلامة • وارتاح الى الراحة •  
وسما الى السماحة • وعاج الى الانزعاج • وعاد لداء خوفه في  
الاستئمان يطلب العلاج • ودعا الى الدعاه • والخروج من الضيق  
الى السعة • فبيننا نحن في ترو وتفكير • وتخير للرأي وتدبر •  
وذقول هذا حصر يشدد • وأمر يمتد • وعمل يصعب • وأمل  
يتعب • ومعقل لا يختل ومعقد لا يحتل • ومقصد لا يدرك • ومورد  
لا يملك • ومكان لا امكان لفتحه • ورجاء يطول الزمان في تطلب  
نجه • اذ خرج من الحصن من يضرع في الأمان ويمتري ضرع  
الامن • فشكرنا الله على تسهيل المتوعر • وتيسير المتعسر •  
وتحصيل المتعذر • وتلقيح الرجاء من الياس • وتذقيح مناط حكم  
الصحة عند اضطراب علة القياس . وكان ذلك ثالث عشر الشهر يوم  
الثلاثاء • وسألوا في مهلة ثلاثة أيام والارجاء • ليخبروا صاحب  
انطاكية ويستأنذوا • ويقبلوا عنده العذر ويخرجوا من الحصن  
ويسلموه فأصبحنا يوم الجمعة وصباح الجمع مسفر وجناب الشرك  
مقفر والشجر شاغر . والكفر صاغر وفسم القهر منا لهم فاغر .  
والاسلام قد ثلم ثغر من هو له مئاغر . والحصن البكر مفترع •  
والدين المتأصل بشعب النصر متفرع • وطلع العلم الى ذلك العلم  
الطالع • وانتقم الهدى الضليع من الضلال الطالع • وكأنما عذبات  
ذلك الراية مقاول الداعين ، وكأنما أبراج تلك القلعة مسامع  
الواعين ، وعاد الحصن أهل بأهل الاحصان ، وصافح بأيدي الأيد  
ايمان ذوي الايمان . فابتسم عن النصر ثغر الثغر . وفرغ القلب من  
شغل الشجر ، وسلم هو وحصن بكاس ، الى غرس الدين قليج  
الساقى عدوه الموت بكاس الباس . وانتقل السلطان يوم السبت الى  
مخيمه والاقبال جاثم في مجثمه • وسرى ولده الملك الظاهر الى قلعة  
سرمانية ، وأرهب فيها الفجرة الجانية ، واستطلق منها البررة  
العانية . وقطف مجانيها الدانية ، واخلى مغانيها الغانية ، وماقطع

قرارها حتى قرر عليها قطيعه . وكلفها ماكانت له من المال  
مستطيعه • ولم تزل عاصية بطوعها فصارت كرها مطيعه . ثم خرج  
حتى خربها عاليها • وعطل حالها • وانجلى ثاويها • وانتأى  
جالها • وبقيت دمنة دائرة • ودمية عائرة . ورسمها عافيا • ورقما  
خافيا • وربعا باليا • وصقعا خاليا • وعادت دارا دارسة •  
مستوحشة بعد أن كانت آذسه • وكان فتحها في يوم الجمعة الثالث  
والعشرين . فأخلى الله من السباع الضواري ذلك العرين • ومن  
نواذر أطفاف الله تيسير هذه الفتوحات الخمسة المتتالية • في أيام  
الجمع الخمس المتواليه • باء فيها لنصر اهل الجمعة بذل أهل  
السبت أهل الأحد واصبح التوحيد على التلايث قاهر الأيد . ظاهر  
اليد •

### ذكر فتح حصن برزية

وسرنا الى قلعة برزيه • وسرنا سار • ودر الظفر لنا دار . وهي  
احصن القلاع وافرعا • واحسن التلاع وارفعها . واسمق  
الرواسي واسماها واسم الرواسخ واسناها . وكان السلطان سبق  
اليها واشرف عليها . ثم استدعي الذقل واستحضر . وجمع بالفضاء  
تحتها العسكر . وذلك رابع عشري الشهر يوم السبت وقد تهيأت في  
العدو اسباب الكبوة والكبت . ثم تجرد يوم الاحد في العدد  
والعدد . ورقى الى الجبل . مع ابطاله النبل ، فرأيناها قلعة شماء  
في الذرى . لاتكاد من سموها ترى . وهي على سن من الجبل عال .  
مترامية في السماء ارتفاعا ، وقيل قدر علو ثلاثة فكان خمسمائة  
ونيفا وسبعين ذراعا . فأحدقنا بها وبالجبل . وقطعنا عنها متصلات  
السبل . ونصبنا عليها المجانيق في ذلك السفح . فلم تصافحها  
صفائحها . وأبدت لنا صفحة الصفح . فقد بعد مرام مرماها .  
وحارت الاوهام فيها وقلنا ماأعلاها وماأسمها . وتحاجزت عنها  
الحجارة فلها من اجازتها بها الاجازه . فما بلغت الى القلعة  
قلائعها . ولاطلعت الى التلعة طلائعها . هذا والنجم يلامع بلامعها

وتقارن طواله وطوالها . فكان الصخور سلم نحوورها . فإن  
سورتها تنكسر دون الوصول الى سورها . ولما رأى السلطان انه  
لا وصول الى نيقها بالمنجنيق . وان الاشتغال به يطيل زمان  
التعويق . مال الى الزحف . ولاحف جموعه في ذلك الحف . وذلك في  
السابع والعشرين من الشهر يوم الثلاثاء . فقسم الناس ثلاثة  
اقسام على السواء . وجعل الذوبة الاولى لعماد الدين صاحب  
سنجار . الليث الهصار . والغيث المدرار . والبحر الزخار . والسيد  
الحلاجل ( ٢٦ ) . والملك العادل في صحابه الصباح ، كفاة الكفاح  
وعفاة الصفاح . ونفاة الهام . بثبات الاقدام في الاقدام . وشفافة  
الاوام بعة الانتقام من الاقوام . واساة ذوي الاساءة باحسان  
الحسام . وكساة عرى العراء أربية القتام . ورقاة اراقم اللهازم  
وسقاة حوايم الصوارم . والمزاق في حومة الردى رداء المأذق .  
والسباق في حلبة الهدى بهوادي السوابق . من كل شارب ماء الوريد  
بشفاء الشفار . وضارب هام المرید ببتار التبار . ولاسع بحمة  
الحمام في الاسل العاسل عاسل . ولايس لباس الباس كالاسد  
الباس باسل . ومعتقد للدين للربيني معتقل . ومعتد على العدو  
بعادي معتدل . ومجتاب لبوس البوس على الموت العبوس مجتاز ،  
ومجتب لحب المذون لرهون نفاذس النفوس محتاز . فانقضوا على  
الهُضب . وعضوا على العضب . ودام الصفايد هده . والصدى  
يقهقه . والزاحف يتقدم ويتقهقر . والحافز يخفى ويظهر . والرجال  
تتعالى . والحجار تتوالى ، والمصاعد ترقى . والمصاعب تلقى .  
والمضايق تولج . والبوائق تخرج . والاكام تفرع والرجام تقرر ،  
والصخور ترید . والجلاميد تميد . ومازالت هذه الذوبة تنازل  
وتقاتل وتناضل وتطاول . وترمي وتدمي . وتصمي وتصمي . وترد  
وترد . وتصد وتصيد . وتصدم وتصدم . وتقدم وتحجم . وتصدع  
وتصدع . وتحمل وترجع . وتذكر وتنطفئ . وتبدو وتختفي حتى  
كلت وملت وانحلت وتخلت . وكانت غلبت . لولا انها لغبت ،  
وسمت . لولا انها سئمت ، والغيت هذه الذوبة خاصة ، لاهل  
الحصن خاصة ، فانهم تولوا بأجمعهم القتال . ولم يقصدوا للتناوب  
الاستبدال . ولما ظهرت في الذوبة النبوة ، وكاد جوادها تناله

الكبوة . تقدم السلطان بنفسه في النوبة الثانية . والسطوة الدانية .  
والعزमे الناوية غير الوانية وخف في الثقال من الرجال . وزحف  
الى الجبل بالجمال . وتضافروا فتطايروا في الاوعار كالاعمال .  
وجروا كالسيول في تلك المسائل . وجروا نيول السوابغ ، على تلك  
الهواجل . وترقوا في ذراها . وقرروا على قراها ، وتلبسوا  
بجوانبها ، وتوجسوا من مشاعبها ، وتدرجوا في مدارجها ،  
وعرجوا في معارجها ، وخرجوا في مداخلها، وبخلوا في مخارجها ،  
وصارت الجروح تجوزهم . والجروح لاتحوزهم . والسهام  
تعبرهم . والاكام تسترهم . والنخوة تحميمهم . والحمية تنخيهم .  
وقد نشط السلطان لتسليطهم وتذشيطهم والتحنير من توريطهم  
وتفريطهم . فمن انقبض بسطه . ومن اعرض ضبطه . ومن اقبل  
اغبطه ، ومن ادبر أسخطه . ومن تقدم قرظة . ومن تقاعس  
أحفظه ، ومن تناعس أيقظه ، وكلما شاهدوا السلطان يشاهدهم  
تسلطوا . وكلما اغتبطوا بما فرعوه من تلك الفوارع ارتبطوا .  
فمنهم من تمكن من الطلوع . ومنهم من تكمن للولوع . وتقلبوا في تلك  
المخارم كالقلوب بين الضلوع . وعرا اهل الحصن العناء والعياء .  
وعمهم البلاء . وأدركهم الشقاء . فانهم مازالوا يقاتلون يومهم من  
غير مناوبة جميعا . فمنهم من صد صديعا . ومنهم من صار  
صريعا . وظهر فيهم الفتور . وبدا منهم القصور . وجاءت النوبة  
الثالثة تالية . واقدمت امدادها متوالية متعالية . وعادت النوبة  
الاولى لنشاطها . وزادت في ادبساطها . فبلغوا وغلبوا والتهموا  
والتهبوا . وتعلقوا بالسور . وتسلقوا كالنسور . وطلعت القلعة .  
وقلعت الطلعة . وافتضت العذرة . واقتضيت النصره . وأعان القدر  
فقدر الاعوان . ونتجت بالفتح البكر الحرب العدوان . وان اهل  
القلعة لما ايقنوا انهم ملكوا . طلبوا الامان حتى لايهلكوا . فلما  
سمع اصحابنا بالامان صياحهم . وعرفوا للضراعة التياحهم  
والتياحهم . كفوا عنهم انتظارا لما يأمرهم به السلطان . واشفاقا  
من سببي من يشمله الامان ، وكان جماعة من دهاة الخواص .  
عارفين بطرق الاقتناص . فاظهروا ان السلطان امن اهل القلعة .  
وانه يدافع عنهم في هذه الدفعة . وجمعوهم في مواضع وكنائس .

واحرزوا النفوس والنفائس . وعاد عنهم من حضرهم . على ظن ان  
السلطان امنهم وحظرهم . وبقي اولئك الافراد بهم متفريدين .  
ولتجريدهم للسبي متجرين . وصار ما بالقلعة ومن فيها لهم كسبا  
وسببا . ومارأوا لحق من شاركهم في السعي رعا . وحرموا  
ما ارتفقوا به وحرموا الرفقاء . وحازوا دون الغانمين النهب  
والسباء . وملك واحد مائة وحاز الري وحلا عنه رفقة ظمئة . ولما  
تسنى ذلك الافتح وتنها . وتسهل ذلك الصعب وتها . عاد السلطان  
الى خيامه . وعادت الايامن بأيامه وكانت صاحبة حصن برزية اخت  
زوجة الابرنس صاحبة انطاكية وقد سبيت وخبئت فما زال يطلبها  
حتى أظهرها وأحضرها . وكانوا بعد هتك سترها ستروها . فمن  
عليها بالاعتاق من الارقاق . وحل عنها وعن زوجها قيد الوثاق .  
وأحضر أيضا ابنة لهما وزوجها وعدة من أصحابهم وأدخلهم معهم  
في الاطلاق . وجمع شملهم بعد الشتات . ووصل حبلم بعد البتات .  
وشعبهم وقد تصدعوا . واشبعهم وقد تجوعوا . وحظرهم وقد  
استحلوا وكثرهم وقد استقلوا ، وحرمهم وقد استبيحوا . ومنعهم  
وقد استميدوا . وأحياهم بعدما هلكوا ، وعصمهم بعد ما هتكوا .  
وحواهم وأغناهم وقد افترقوا وافتقروا . وجبرهم ونعشهم وقد  
انكسروا وعثروا . وسير معهم إلى أنطاكية من أوفدهم على ستها .  
فسرت باختها . وعلنت بمقتها من سر مقتها . واذاعت من مضمر  
بغضها بمظهر حبها . وجاءها الفرح في غمها والفرح في كربها .  
وتشكت لأخذ بلدا . وتشكرت لترك أختها وولدا ، وانعم السلطان  
بهذا الحصن على عز الدين بن المقدم . الكريم المكرم والمقدام  
المقدم . والعظيم المعظم . والماجد المجد . ابراهيم بن محمد . فإن  
هذه القلعة لثغرا فامية الجارية . في اقطاعه متاخمة . وهي لها في  
الاسلم مقاسمة وفي الحرب مزاحمة .

وسرت هذه البشرى وسارت ودرت هذه النعمى ودارت .

وطارت كتب البشائر . وسرحت على جناح الطائر وفيما كتبت ان  
هذه البشرى بما اجده الله من الفتحة العزيز . والنصر الوجيز بفتح  
حصن برزية الذي برزت له الارض في قشب اثوابها . وتفتحت له

السماء لتتنزل الملائكة من ابوابها . بل سافرت به عرائس الايام في حلى ايامها . واشرقت منه اقمار الليالي في انوار محاسنها . وهذا الحصن لا يمكن وصف ما هو عليه من الحصانة . وكأن حجره في حجر حضن للحضانة ، وقد عرف ما فتحناه من البلاد والحصون ، وسلبنا اهل الكفر بها من السلامة والسكون ، وفتحنا كل مرتج لم يكن فتحه مرتجي . ولم يجد من حصل في أسر الدهر به مخرجا . حتى أتت ايامنا ، وبنى فيه مرامنا . فجاءه عصرنا ، وفجأه امرنا . ووصل لنا ما هو في الازل نخرنا . وكمل بهذه الفتوحات فخرنا . وذلك انا فتحنا من حدود طرابلس الى حد انطاكية . وسقينا بماء الحديد الجاري في انهار دم اهل النار ، مفارس الهدى الزاكية . وجلونا بها ثغور الثغور الضاحكة وعيون العدو الباكية . وهذه الحصون التي فتحناها . والمعقل التي استبحناها ، لو وكلنا الله الى اجتهادنا في فتح احدها . لتعذر ولو أنجذت عساكر الدنيا بمدها . لكن الله سهل ويسر . وفتح ونصر . وانزل الظفر ، وان حصن بزريه لم يكن عليه قتال . ولا للوهم فيه مجال . ولا منصب عليه لمنجنيق . ولا مسلك اليه لسالك طريق . وحضرنا لحصره ، متوكلين على الله في امره غير طامعين في فتحه . ولا راجين لنجحه ؟ فانقاد جماحه . وانخفض جناحه ، وساء صاحبه ، وكل سلاحه ، وتوقل الرجال في نزوته وتوقل النجوم في الافلاك . ولنصر الله اهل التوحيد على اهل الاشراك . وفتحناه بالسيوف عذوة . ودجا يوم المثلث عليه يوم الثلاثاء ضحوه . فاننا لما توكلنا على الله في منازلته . واستعنا به في مقاتلته . نظر الله الى النيات . واعان ذوي العزائم والثبات . فتعلقوا في الجبل . وتسلقوا الى القل . وسعوا الى الاجل . في طلب تسني الامل . فكان كما قال الله تعالى : ( وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ) ( القمر ٥٠ ) حتى من الله بالظفر . واصفى الورد والصدر من الكدر . وقد بقيت انطاكية ومالها بقاء ، ولا لها في الاعتصام رجاء . وقد نقصنا اطرافها . واستبحنا اكنافها . وشفها نطافها . وعضدنا من رؤوس اهلها بحدود الصوارم قطافها . ولم يبق من معاقلها الا القصير ودريساك وبغراس . وقد تقدم اليها الفاتحان الرعب والباس .

## ذكر فتح حصن دربساك

ورحل السلطان وقد نجحت اماله . ورحجت اعماله . وحل اقباله  
واقبل جلاله . وعبر عند شقيف دركوش الى شرقي العاصي . وقد  
دانت له المقاصد العواصي القواصي . واقام اياما على جسر الحديد  
الجسارة . شديد الاستظهار بما ظهر للمؤمنين من الربح  
وللمشركين من الخسارة . ثم قصدنا دربساك . وجدنا بتأييد الله  
في حصره الاستمساك . ووجدناه حصنا مرتفع الذرى . ممتنع  
الذرا ، قد جاوز الجوزاء . وناجت ارضه السماء . وكان عش  
الداوية بل عزيمتهم . وطالما اطال في التعدى أيديهم وعرائينهم .  
وكانوا قد نزلوا منذ انزلناهم من ظهور الحصن بطون الحصون .  
وركبوا بسكنى هذا المعقل الى السكون . فلما اشرفنا عليهم اشرفوا  
على المذون . ونزلنا عليه يوم الجمعة ثامن رجب . وقلب الكفر قد  
وجب . ووفرت المنجنيقات سهامهم من سهامها . وصوبت اليهم  
مددات مراميتها ورامياتها . ورامياتها بها ليلا ونهارا . وارسلنا اليهم  
امثال قلوبهم ووجوههم احجارا . وكنا لا نذر في ارضها التي هي  
في السماء من الكافرين نيارا . وتركنا ناسه بالحجارة صرعى .  
واسمنا من نحوهم ووجههم بيض النصال في حمر المرعى .  
واصبحنا يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب وقد شارف الفرنج الشجا  
والشجب . ووجه نجاتهم قد احتجب . وقد وقع بالنقب برج من  
السور الخارج . وظهر فيه عروج الدارج ودروج للعارج . فطلبوا  
على مراجعه انطاكية الامان . وان ينزلوا ويتركوا بكل ما فيه  
المكان ، فأجيبوا الى ذلك على قطيعه . وردوا ما كان للاسلام معهم  
من وديعة . وتسلم الحصن بما فيه ثاني عشري الشهر يوم الجمعة  
واصبح بهذا الفتح جراح الحصون الممتنعة .

## ذكر فتح حصن بغراس

وتوجهنا بكرة يوم السبت الى بغراس وقد ضايقنا الاعداء  
وضيقنا منهم وعليهم النفوس والانفاس . وهي قلعة من انطاكية  
قريبة . وانها في الشدائد لدعائها مجيبة . ورأيناها راسخة على  
راس راس . شامخة على عاص عاس . ارضها في السماء .  
وجوازها على الجوزاء . متوغلة في الشعاب ، متوقلة على  
الهضاب . مذسحة في السحاب . مضربة بالضباب ، مربة على  
الرباب . متعلقة بالنيرين . متساقة الى الفرقدين . محلقة الى  
النسرين . ولا مطمع نحوها لطالع . ولا مطلع فيها لطامع ، ولا  
مطمح للامح . ولا ملمح لطامح . وهي للداوية وجار ضباعها .  
وغاب سباعها ودار دوائرها . وغار مغاورها . وغيل غوائلها  
ومنزل نوازها وجعبة نبالها . وهضبة رثبالها ، ومذب ذئابها ،  
ومذب ذبابها . وكوارة زنابيرها . ومغارة خنازيرها . ومرقب  
صقورها . ومرقد لسورها . ومكندس وحوشها . ومعرش جيوشها .  
فخيمنا بقربها في المرج . وقد انارت من مشرعات اسنتنا في ظلماء  
نقع خيلنا مشعلات السرج . وتقدم من العسكر جمع كثير . وجمع  
غفير ، وخيم بين انطاكية وبينها . ووكل بها ناظر يقظته وارقد  
عينها ، فأقام على سبيل اليزك . ودخل في حفظ جانبها في الدرك .  
وسار يركب كل يوم ويقف تجاه انطاكية صفا . ويسومها من  
الغارات عسقا وليس بينه وبينها الا النهر ، ومقابل رجسها منه  
الطهر . وصعد السلطان في جريدة عسكره الى الجبل . ووقف بازاء  
الحصن وقوف المشتاق على الطلل . فنصب عليه المجانيق من جميع  
جهات . وصوب لقم الحجر الى لهاته ووافق أمره بالاذعان على  
خلاف نهاته . وقلنا للمقيم به خذ الامان وهاته . ومازالت  
الحجارات تناوبه ، وصدى الصفا بالذكاية يجاوبه . والصخور فيه  
تتواقع ، والبلايا اليه تتابع . فما شعرنا الا بانفتاح بابه . وألجأ  
جماعة اصحابنا عليه جماحة الى اصحابه . وخرج مقدم الداوية  
يستأنن في الحضور . ويسأل الامن من المحذور والحل من

المحظور . ويقول انما قنينا بغراس بغراس القنا . وبنينا على حصونها من القنطاريات أحصن البنى . والمعاقل لا يحميها الا معتقلوها . والبلاد لا يحفظها الا اهلوها . وما في هذا الحصن الا مقدمان . ومالنا بمقاومتكم يدان . وعاد الى اصحابه من السلطان بالامان . وتسلمت القلعة كما تسلمت أختها دربساك بالامس . وسالماها الداوية طائعين فعجبنا من انقياد اولئك الشمسس . وابعدها لنا وكانوا يغارون عليها من طلوع الشمسس . وأنار في مطلعها سني السجق المنصور . وأذن المتطاول فيها من تطاولنا بالقصور . وذلك في ثاني شعبان . وسر النصر فيه شار وبيان . وسلم السلطان الحصنين دربساك وبغراس الى علم الدين سليمان . وكان صاحب حصن عزاز . وقد حاز الغنى به وفاز . وما كان في الامراء الا كابر من لا يدعي سواه الاعواز فالزمه بهما ليعتني بحفظهما ، وحضه من عصمتهما على حفظهما ، فسدس لهما بنخاثرهما . واطلع من النفائس على مستودعات ضمائرهما وكانت حينئذ انطاكية قد اسعر غلتها سعر الغلة . وقل ساكنوها لما كانوا فيه من القلة . والفرارة تساوى اثنى عشرة بينارا . والقوم قد شارفوا فيها تبارا وبوارا ، وحزرننا ما في بغراس خاصة من الغلة ، سوى ما فيها من تفضيل الاقوات والجملة . فكان تقدير اثني عشر الف غراوة . فحصل سليمان من منبج هذا الملك على غزارة عن غرارة . فقلت كأني به وقد نزل هذه الغلة الى انطاكية وباعها ، واعرض عن متاعب الاخرة وحوى من الدنيا متاعها . وانهب الغلة بذهب يغله . ويستحلي مر هذا السحت ويستحله ، ثم يستعفي من حفظ الثغر ويشير بتخريبه . ووقع لي فيه من الظن ما كان بعد سنين فكشف عنه علم تجريبه .

## ذكر عقد الهدنة مع انطاكية

فلما فرغ السلطان من شغل الحصون وظفر من فتوحها بالسر المصون . عول على قصد انطاكية فإنها كانت مريضة على شفا

ورسم قوتها قد عفا . وخلق ثيابها قد اشفى . والدهر قد انتقم منها واشتفى . ووجه الفلاح عن اهلها قد اختفى . فلو صدقتها وقصدها لحص ( ٢٧ ) دعائمها وحصدها ، وكان الابرذس صاحبها قد عجل بارسال اخي زوجته . يسأل في سلم يعود ببقاء بهجته وسلامة مهجته ، وعقد الهدنة على بلده وأمن على ما في يده وذلك لثمانية اشهر من تشرين الى آخر أيار . ووافق من السلطان الاختيار لكون انقضاء الهدنة قبل ادراك الغلة وأوان حصادها . فلا يقدر الفرنج على تحصيلها ونقلها واعادها ولم يكن له رغبة في اتمام هذا الصلح لكامل الغبطة لنا في الحرب ووفور الربح . لكن العسكر الغريب مل الاقامة . وأبدى السامة . واراد السلم . وقيل بهذه المدة من الهدنة لاتزداد انطاكية قوة ولا تستجد جده ولا يرجى لها عدة منجدة ونحن نضرب للعود اليها مع انقضاء عدتها عده . واما حصونها فقد حصلنا على عسلها . وقتلنا نحلها . واما هي فنعمل فيها بقول الله تعالى ( وان جنحوا للسلم فاجنح لها ) ( الانفال ٦١ ) وشرط على صاحب انطاكية اطلاق من في الاسر من المسلمين . واستوفى رسولها على عقد الهدنة اليمين . وسار رسولنا معه شمس الدولة بن منقذ للاسارى منقذاً ، وللاوامر منقذاً . وعلى المقاصد مستحوزا ، وسار السلطان ثالث شعبان على سمت حلب ، والاسلام قد غلب ، وفاز من الفتوح بما طلب ، واستغنى بما جمعه من السبي والغنيمة وسلب وخلب ،

ذكر وداع عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي  
وعساكر البلاد . وعود السلطان الى دمشق بنجاح  
المراد

ولما رحل من بغراس وقف لعماد الدين وداعه لوداعه ، وشيعة بكرامة كرام أشياعه ، وخصه بعد ما سير له من الخيل والخير بخلع خواصه وأتباعه ، وأناله منه حسن اصطفائه وحسنى اصطناعه ، ولم يذفصل منهم الا من وصل بصلة ، وخلفعة

مجملة ، وحرمة مكملة ، ووعد جميل يرغب في العود ، وجود جزيل  
منسكب الجود ، وذلك سوى ماغذموه من كسب وكسبوه من  
غنم ، واستطاقوه من رسم واستجزلوه من قسم ، وملكوه من رق  
سبي . وادركوه من حق سعي . وأجدوه من غرض . وأدوه من  
مفترض . وأحيوه من حسنة النصر ، وأماتوه من سيئة  
الكفر ، واستضافوه من فتح ، واستفاضوا به من نجح . وسار  
السلطان في عسكره ، حامدا الله في مورده ومصدره ، وارتاح الى  
العبور على أرتاح ، وامتار لها اليمن بافتقادها وامتاح ، ووصل  
الى حلب وحلب احتفالها بوصوله حافل ، والملك بها للاهتزاز  
بقدومه في ملابس البهاء رافل ، وبخلناها وقد خرج كل من بها  
للتلقي ، مستبشرين بالاقبال المتضاعف المترقي ، وشاهدنا من  
النظارة عيوننا للمحاسن ناظرة ، ووجوها ناضرة ، وقلوبنا  
حاضرة ، وألسنا شاكرة ، وأيديا في بسطها الى الله للابتهاج  
بالدعاء متظاهرة ، واقتضت حركتنا الى الشهباء لساكنيها سكون  
الدهماء ، وأقام بقلعتها أياما يسيره ، وألقى ولده الملك الظاهر أسر  
احسانا وأحسن سيرة . وقام به وبالعسكر مدة المقام ، واتسقت  
الأمور بأوامره على النظام . ولم يرحل الا وقد خص عوامنا  
وخواصنا بالانعام الخاص والعام ، وأبان عن كل منقبه ، وأعان  
بكل موهبة ، فما راه والده مذحل بحلب الا في أجمل حلية وأكمل  
حاله ، وأجلى بهجة وأبهى جلاله ، وقد أجد لعينه ولذفسه قررة  
وقرارا . وأعد لعزمه ولحزمه استنصارا واستبصارا ، ثم انفصلنا  
عن حلب منقطعين الى مواصلته بالدعاء ، قاطعين طرقنا المتصلة  
بدليلي الشكر والثناء ، وتذكينا طريق المعرة ، بسلك طريقي  
المعرة ، وأوفيناها بالمبرة الموفية المبرة ، وتيمن السلطان بزيارة  
الشيخ الفقيه الزاهد التقي . ابي زكريا المغربي . وهو مقيم في  
مسجده ، عند قبر عمر بن عبدالعزيز ومشهده ، وقصده السلطان  
على فراسخ ، ولقي منه في الحلم والوقار الطود الراسخ واهتدى  
بسجاياه ، واقتدى بوصاياها ، ووصلنا الى حماة . وبتنا بها ليلة  
واحدة ، ولم نر رعيتها لما شملها من الرعاية جاحدة ، فان الملك  
المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب ، قد كشف عنها

بإيالته الكروب ، وملك القبول من أهلها والقلوب ، وأعاد لها بالعمارة العمرية عمرا جديدا ، ومد عليها من مهابته ومحبته ظلا مديدا ، وكانت قلعة حماة لاتعد في القلاع المعدودة المحمية ، ولاتذكر مع المعقل المرعية المرضية ، وهي ذات تل متبطح ، غير مترفع ولا متسفع ، فلما تولاهما تقي الدين قطع من التل ما كان متواطيا ، وأتلع من التلعة جيذا عاطيا ، وعمق خندقها في الصخر وحصنها على الدهر . وبنى فيها الدور المرخمة ، والأروقة المهندسة المهندمة ، وحصنها وأعلاها ، وحسنها وحلاها ، وزينها بكل زينة ، وأعاد حماة ذات قلعة حصينة ، فاضلة في الشام كل مدينة ، فطلع السلطان تلك الليلة الى القلعة ، وسر بما رأى لها من الحصانة والرفعة ، ووقف الملك المظفر لعمه ، وجرى في الخدمة على رسمه ، وحضرنا وأمير المدينة النبوية معنا ، والسلطان قد أجلسنا بحضرتيه ورفعنا ، والنادي قد جمعنا ، والشادي قد اسمعنا ، والأغاريد تطرب ، والأناشيد تعرب ، فما انفصلنا تلك الليلة الا عن علم نشر ، وشرف انتشر ، وفضل سني . وعدل احبي . ورسم نائل للسماح واجري ، وزند سائل بالنجاح أوري ، وسني جد أعلي ، وجني جود أحلي ، وقرأ لذوي الحاجات القمص ، وأزال من الظلمات الغمص ، وأنال لذوي الخصاصات الحصص ، وأصبحنا على الرحيل ، ووصلنا العنق بالذميل ( ٢٨ ) ، وعبرنا مغنين على حمص وزينا في الوصول الى دمشق على طريق بعلبك الحرص ، وجئناها قبل شهر رمضان بأيام ، وركنا الى ما أنسنا به من مقام ، وتجمع بنا شملها ، وتهلل باستهلانا أهلها ، وقتلنا نصوم مع القوم ، ونقيم مدة الصوم ، فما لبث السلطان ولا مكث ، ولانقض عهد عزمه على الغزاة ولانكث ، وقال لانبطل الغزوة ، ولانعطل هذه الشتوة ، وقد بقيت صدف وكوكب وأخـواتها ، وبطول مضايقتها فنيت أقواتها ، وقواتها ، فتنهز فرصة فتحها التي لا يؤمن فواتها ، وخرج من دمشق في أوائل شهر رمضان . وحد عزمه رميض . ولبارق سعده وميض ، وفضله مستفيض ، ووجوه الأيام لياييه البيض بيض ، ولسان الدهر في ذكر سيره وتسيير ذكره

مفيض ، وجناح الكفر بجناح رجائه ورواح مناجسه  
مهيض ، وحديث اقدامه القديم والحديث طويل عريض .

## ذكر فتح الكرك وحصونه

ووردت البشرى بنجح الدرك ، في تسلم حصن الكرك ، وذلك ان  
مدة غيبتنا في بلاد انطاكية ، لم تعدم من محاصرتها المضايقة  
الناكية ، وكان الملك العادل اخو السلطان مقيما بتبنين في  
العساكر ، محترزا على البلاد من غائلة العدو الكافر ، مقويا  
للأمراء المرتبين على الحصون ، حافظا على الدهماء بحركته في  
الأمور عادة السكون ، وكان صهره سعد الدين كمشبه الأسدي  
بالكرك موكلا ، وبأهله منكلا ، وقد غلق رهنه وبقي داؤه  
معضلا ، وأمره مشكلا ، حتى فنيت ازواجهم ونفذت  
موادهم ، ويئسوا من نجدة تأتيهم ، وأمحت عليهم مصايفهم  
ومشاتيهم ، فتوسلوا بالملك العادل ، وابدوا له ضراعة  
السائل ، وتذرعوا بوسائل الرسائل فما زالت الرسالات  
تتردد ، والاقتراحات تتجدد ، والقوم يلبذون والعادل يتشدد ، حتى  
دخلوا في الحكم ، وخرجوا على السلم ، وسلموا الحصن وتحصنوا  
بالسلامة ، وخلصوا باقامة عذرهم عند قومهم من الملامة ، وكتبت  
عن السلطان في بعض البشائر ، مألهي بحلاوته عن أرى  
( ٢٩ ) الشائر ، وهو اننا لما عدنا الى دمشق رأينا ان  
لاندستريح ، ولانثني عن كسر العدو عزمنا الصحيح ، فقلنا نغتم  
هذه الشتوة ، ونستكمل الحظوة ، ونواصل بالغزوة  
الغزوة ، ونستخلص هذه القلاع التي شغلت منا في هذا الجانب  
قلوبا وعساكر ، وأبقت لأهل البلاد في طريقها ندوبا ومعاثر ، وبيمن  
صدق هذه العزيمة ، والاستمرار في الجهاد على الشيمة ، وردت  
البشرى بأن حصن الكرك عاد إليه بعد الجماع الأصحاب ، وخرج  
منه الفرنج وبخله الأصحاب ، وهو الحصن الذي كان طاغيته يحدث  
نفسه بقصد الحجاز ، وقد نصب اشراك اشراكه منه على طرق